

مجلة الثقافة  
الوطنية  
الديمقراطية

# أدب وفد

أغسطس  
٢٠٠٧  
العدد ٢٦٤

## نازك الملائكة: الثائرة الملتزمة



- المواطنة فى الأسر
- شهادات فى المصايدة
- إبداع ثرى وهواء قليل
- رؤية حضارية للدين
- سبب للحب.. قصة اسبانية
- برادة يكتب عن طواحين أبورية
- الزمن بين الطيب صالح وبروست



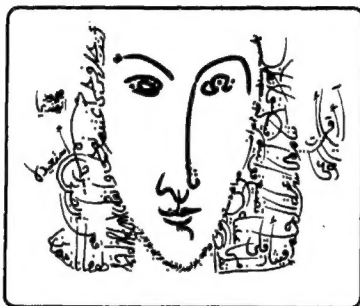
## أدب ونقد

### مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الثالثة والعشرون

العدد ٢٦٤ أغسطس ٢٠٠٧



رئيس مجلس الإدارة: د. رفعت السعيد

رئيس التحرير: حلمى سالم

مدير التحرير: عبيد عبد الحليم

مجلس التحرير: د. صلاح السروى /

طلعت الشايب / د. على مبروك /

غادة نبيل / ماجد يوسف /

د. شيرين أبو النجا

## أدب ونقد

مستشار التحرير: فريدة النقاش

المشرف الفني: أحمد السجينى

إخراج فنى: عزة عز الدين

مراجعة لغوية: أبو السعود على

لوحتا الغلاف الأمامى والخلفى: من التراث العالمى  
الرسوم الداخلية للفنان: محمود الهندى

الإشتراكات لمدة عام

باسم الأهالى/ مجلة (أدب ونقد): داخل مصر ٧٥ جنيها  
البلاد العربية ٧٥ دولارا/ أوروبا وأمريكا ١٠٠ دولارا

يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدى أو البريد الإلكتروني:  
Editor @ al - ahaly. com

المراسلات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب  
القاهرة/ هاتف ٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

## المكتوبات

- مفتتح: إبداع ثرى وهواء قليل..... فريدة النقاش ٥
- المواطنة فى الأسر/ دراسة/..... القس رفعت فكرى سعيد ١٥
- حداثة سيزيف / شهادة فى المصادرة ١٠/..... د. شيرين أبو النجا ٣٥
- أخرج إجماعكم / شهادة فى المصادرة ٢٠/..... أحمد الشهاوى ٤٠

### • الديوان الصغير:

- نازك الملائكة الثائرة الملتزمة/ إعداد وتقديم/..... ريم قيس كبة ٤٩
- جوائز وجوائز / اشتباك/..... عيد عبد الحليم ٨١
- سبب للحب / ترجمة/..... تأليف فانى رويو، ترجمة طلعت شاهين ٨٢
- رؤية حضارية للدين / رؤية/..... أبو العز الحريرى ٩٨
- صمت الطواحين فى الدلتا المصرية / نقد/..... د. محمد براءة ١١٤
- الزمان والمكان عند الطيب صالح ويروست / نقد/..... أمير حمد ١١٩
- ألعاب الكتاب / رؤية/..... فريد أبو سعدة ١٢٩
- عقدة.. ولها حلال / شعر/..... محمود الشاذلى ١٣٢
- البلدة العظيمة / شعر/..... إيهاب خليفة ١٣٤
- معاينة / قصة/..... شريف عبد المجيد ١٣٦
- قصائد / شعر/..... مراد ناجح عزيز ١٣٩
- جون اشبرى أمير الشعر الأمريكى / ترجمة/..... عبد الوهاب الشيخ ١٤٢



## إبداع ثرى وهواء قليل

### فريدة النقاش

من يتابع حركة الإبداع العربى والفكرى فى الوطن العربى سوف يدهشه شراؤها وتنوعها ، وكم كان للتنوع والثراء أن يتضاعفا فى متواليه هندسية لو أن الكاتب العربى حر ، ولو أن المجتمع المحافظ لم يخنقه ، ولو أن المؤسسة الدينية لم تراقبه ، ولو أن الفقر لم يهدر من المنبع مواهب بلا حصر .  
يقدم الكاتب العربى إبداعه رغم أن عيون البصاصين واسعة كما أن الهواء قليل .

• • •

قال يوسف إدريس - يوماً- إن الحرية المتوفرة فى العالم العربى لا تكفى كاتباً واحداً .  
يمكننا لأول وهلة أن نقول إنه يبالغ ، ولكن عندما نتعرف على عدد ونوعية القوانين المقيدة للحريات فى كل من مصر والوطن العربى ، وندقق جيداً فى تلك المقيدة لحريات التفكير والتعبير منها سوف نقول على التوا أنه على حق .  
وحين فحص العلماء والمفكرون والباحثون واضعو تقرير التنمية الإنسانية فى الوطن العربى الموقفات التى تقف حائلاً دون النهضة والتنمية والتحرر حددوا ثلاثة معوقات أساسية كان على رأسها غياب الحريات، وهو الغياب الذى جعل الوطن العربى

يأتى فى ذيل قائمة المناطق التى أجرى فيها هذا القياس فجاء بعد إفريقيا جنوب الصحراء.

ولا يتعرض الكاتب لرقابة واحدة فإضافة إلى الرقابة الحكومية المتمثلة فى القوانين المقيدة للحريات والمؤسسات التى تقف للكاتب بالمرصاد إستعداداً لمحاسنته وصولاً إلى سجنه، هناك رقابة المجتمع المحافظ التقليدى الذى لم تقض عليه ثورة صناعية فأخذ يتحدى الحداثة والديموقراطية وينتصر للقديم والروح الأبوية الاستبدادية ويفرض شروطاً ضمنية أحياناً ومعلنة أحياناً أخرى على الكاتب، كذلك هناك رقابة المؤسسة الدينية رسمية كانت أو أهلية ، فقد استفادت المؤسسة الدينية الرسمية من المناخ السائد ، ومن قوة النزعات المحافظة التقليدية لتحصل على مزايا قانونية جديدة تجعل منها رقيباً بإسم الدين على حرية الإبداع ، وحصل الأزهري من وزارة العدل على حق الضبطية القضائية للكتب، فلم يعد معنياً فقط بطبعات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، كما ينص قانونه . كذلك أصبح مجمع البحوث الإسلامية سلطة رقابة بالإضافة إلى التيارات السياسية الدينية والتي أغرقت البلاد بشرائط الكاسيت والفيديو والتي تروج الخرافة والتأويل الحرفي للنص الدينى ولها تنظيماتها ومؤسساتها الإعلامية والثقافية وأذرعها التى طالت مفكرين وكتاباً فأسكتتهم أو قتلتهم أو حاولت قتلهم بدعوى أنهم مرتدون مثلكم حدث لكل من " فرج فودة " و " نجيب محفوظ " . بل إن كاتباً وإباحياً هو " سيد القمنى " قرأ أن يتوقف عن الكتابة فى الإسلاميات بعد تهديده بالقتل .

هناك أيضاً صعوبات العيش وشح الرزق بسبب الإنقسام المتزايد فى المجتمع بين أشرىاء شديدي الثراء وهم أقلية، وأغلبية شديدة الفقر وطبقة وسطى بينهما أخذت تنحدر بانتظام إلى صفوف الشعب ، ومن هذه الطبقة الوسطى كان يأتى المفكرون والكتاب عادة بينما تأتى أقلية منهم من صفوف الطبقات الشعبية حين تتوفر لها المعرفة والتعليم اللائق والوقت .

وإذا كان هذا العنصر الأخير لا يرتبط بشكل مباشر بحرية الكاتب إلا أنه يهدد مواهب وإمكانات كثيرة كان بوسعها فى ظروف أخرى ملائمة أن تتفتح وتغنى الحياة الثقافية بإبداعاتها . إن القوت هو سيف مجازى أمضى أحياناً من السيف الحقيقى .  
وأذكر فى هذا الصدد أننى كنت قد تعرفت قبل ثلاثين عاماً على امرأة أمية تعمل



خادمة لدى أسرة قاهرية بعد أن جاءت من قريتها في أقاصى الصعيد بحثاً عن الرزق وهى طفلة ، وامتلكت رغم أميتها قدرة مدهشة على قرض الرجل بمستوى رفيع تعليقاً على الأحداث والمواقف فى التو واللحظة فى بلاغة مدهشة وقدرة على نسج الصور وتضفير الكلمات وإنشاء علاقات بين الإيقاع والمجاز. وطالما تساءلت: ماذا لو كانت " ست أبوها " قد تعلمت القراءة والكتابة وأتيحت لها مكتبة الشعر العربى ، ونشرت قصائدها أو وجدت من يغنيها مع حركة نقدية تساعد على تطوير أدواتها؟ فربما كانت حياتنا الثقافية قد اغتنت بإبداع زجاله كبيرة مدهشة ، ومثلها مئات ضاعت مواهبهم فى الفقر والبؤس والتهميش.

وبالقطع هناك آلاف من النماذج المشابهة التى لم يعررها أحد اهتماماً إضافة إلى حفظة السير الشعبية مثل الهلالية التى جمعها " عبد الرحمن الأبنودى " من إنشاد هؤلاء الذين كسبوا عيشهم من إمتاع جمهورهم الفقير ، وكان بوسعهم أن يصبحوا شعراء كباراً لو توفرت ظروف أفضل للعيش .

ويشكل نقص المعرفة وهشاشة التعليم وضعف القدرة الفنية وعدم التملك للأدوات والتعرف على إمكانياتها رقابة ضمنية خفية على المبدع الذى يندفع فى تحاييله على هذا الضعف إلى التماس تعبيرات مباشرة سطحية وفجة أحياناً تسيئ إلى الإنتاج فنياً كان أو فكرياً وإلى قضية حرية الفكر والتعبير معاً ، وكثيراً ما يستخدمها المتربصون لفض الرقابة الواقعية .

### الرقابة الذاتية

تتفاعل كل هذه العوامل مع بعضها البعض لتنتج شكلاً لعله أخطر أشكال الرقابة على حرية الكاتب وهو: الرقابة الذاتية . كان المسرحى الراحل " نعمان عاشور " يقول : كلما جلست لأكتب مسرحية جديدة أخرجت الرقيب من جيبى ووضعتة على المكتب أمامى ، أما " توفيق الحكيم " فقال ذات مرة " هو أنا مجنون أكتب كل اللى أنا عايزه " . ويشكل الرقيب الذاتى قوة ضغط مضاعفة على المرأة الكاتبة، لا فحسب لأنها كثيراً ما تتمثل الثقافة المعادية للمرأة دون وعى منها وهى تبني عالمها الفنى خاصة، وإنما أيضاً لأن النظرة الشائعة لأدب المرأة باعتباره دائماً بوحاً ذاتياً لا يرقى إلى مستوى الأدب من حيث التركيب والبنية الجمالية فيصبح أقرب إلى المذكرات ، هذه

النظرة تأخذ في فحص الأعمال الإبداعية للنساء على نحو خاص لتفتش عن السيرة الذاتية لكاتبها بحثاً عن مادة قد تكون فضائية في مجتمع تقليدي ما يزال يرى أن من حقه فرض الوصاية على المرأة ومراقبتها بدعوى حمايتها أو باعتبارها عورة .  
تنص المادة ٤٦ من الدستور المصري "على أن تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية" كما تنص المادة ٤٩ على أن "تكفل الدولة للمواطنين حرية البحث العلمي والإبداع الأدبي والفني والثقافي وتوفر وسائل التشجيع اللازمة لتحقيق ذلك".

وهما من النصوص القليلة في الدستور التي لم ترهن ممارسة هذه الحريات بتدخل المشرع لتقييدها عبر القانون . ومع ذلك فإن ممارسة هذه الحريات من الناحية العملية تواجه قيوداً كثيرة ذات صبغة دينية لأن الدستور الذي نص على حماية هذه الحريات هو نفسه الذي ينص في مادته الثانية على أن الإسلام هو دين الدولة ويعتبر مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع "بما يعنيه ذلك من الخضوع لتأويلات فقهية . خاصة مع تنامي نفوذ التيارات الإسلامية المتزمتة ، وخضوع الدولة والمجتمع لضغوط تلك التيارات . وهو ما يضع الشريعة في حالة تصادم دائم مع تلك الحريات .."

ولعل أشهر واقعة عدوان على حرية الكاتب والباحث بإسم هذه المادة في الدستور هو ما وقع للدكتور "نصر حامد أبو زيد" الأستاذ الجامعي والباحث في علوم القرآن حين قام بعض الأساتذة بفحص أبحاثه ومادته العلمية المترقى فحسباً دينياً بعد أكثر من ألف عام من قول "الجراني" الشعر بمعزل عن الدين، مستندين إلى هذه المادة في الدستور ثم قام آخرون بتحريك دعوى حسبة ضد الباحث مطالبين بتطبيق زوجته منه لأنها مسلمة لا يجوز أن تبقى زوجة لمرتد ، وإيضاً اعتماداً على هذه المادة . وأخيراً قررت المحكمة الحكم بتطبيق الباحثة د. ابتهاج يونس من زوجها دون رغبتها إستناداً على هذه المادة في الدستور وهددت جماعات بقتل "نصر"، وكان أن خرج من وطنه إلى المنفى الذي يعيش فيه حتى الآن، بل وقامت إدارة جامعة القاهرة بسحب كتب "نصر حامد أبو زيد" من المكتبة حتى لا يقرأها الطلاب أو يعتمد عليها الباحثون كمراجع بصرف النظر عما إذا كانوا يتفقون مع نتائج أبحاث المفكر ومنهجه أو يختلفون معها . وكما هو معروف فإن توفير المادة العلمية التي كتبت في مبحث ما

هو واحد من الحاجات الأولية لأى بحث علمى جدى ، وهو شرط لى تتوفر الحرية الحقبة للباحث أو المفكر الذى إذا حرم من المعرفة والغذاء العقلى أصبحت حريته مستحيلية ، فضلا عن أن مصادرة كتب مؤلف ماتشكّل عدوانا على البحث العلمى ذاته وتعطيلا لروح النقد والأسئلة التى لا يجوز أن يحجبها شيء والتى لا غنى لأى باحث عنها، حتى يكون بوسعنه أن يجدد وأن يصل إلى آفاق جديدة فى الميدان الذى تخصص فيه .

وفى هذه الواقعة وحدها . وهناك مئات غيرها . رد قوى على السؤال المطروح فى ساحة البحث العلمى والاكاديمى : لماذا لا يقدم البحث العلمى جديدا بل تكرر الأبحاث بعضها البعض فى المقدمات والنتائج ؟ ولماذا يندران تنشر المجلات العالمية المتخصصة فى البحث العلمى النظرى أبحاثا لمصريين ؟ أما عن الأبحاث التطبيقية ، وهى وثيقة الصلة بالحرية وبالتقدم فى الميدان النظرى . فليس علينا إلا أن نتذكر قول رئيس الشركة القابضة للأدوية إن الشركة اضطرت للإستعانة بباحثين من الهند والصين بعد أن وجدت أن الأبحاث المصرية غير صالحة لأنها تكرر القديم ويكتبها أصحابها لمجرد الترقى .

ولم تقتصر عملية " تطهير المكتبات " على مكتبة جامعة القاهرة بل وصلت أيضا إلى مكتبة الجامعة الأمريكية بعد أن قام أهالى بعض الطلاب المتشبعين بالروح التقليدية المحافظة والمتأثرين بالجماعات الدينية والذين يفرضون هم أنفسهم الوصاية والرقابة على عقول أبنائهم بحكم الأبوة . قاموا بتقديم شكوى إلى إدارة الجامعة لأن أستاذا دعا طلابه إلى قراءة كتاب المفكر الفرنسى " مكسيم رودنسون " عن النبى " محمد " ، وطالب الآباء بتطهير المكتبة من الكتاب بل ومعاقبة الأستاذ الذى دعاهم للقراءة . وحدث الشيء نفسه مع واحد من الكتب الثمينة الكلاسيكية والنادرة فى تاريخ الأدب العربى الحديث وهو كتاب النبى " لجبران خليل جبران " كذلك مع الرواية المصرية " الخبير الحافى " لمحمد شكرى ، وهى سيرة للمهمشين والضائعين فى الضواحي الفقيرة مكتوبة بشعرية عالية . وقيل أن عدد الكتب التى جرت إزاحتها من رفوف الجامعة الأمريكية بلغت تسعين كتابا .

بل إن وزارة الثقافة فى إستجابة لضغط الجماعات الدينية جمعت من الأسواق رواية نشرتها الثقافة الجماهيرية بعد أن كانت قد صدرت خارج مصر قبل عشرين عاما هى " وليمة لأعشاب البحر " للكاتب السورى " حيدر حيدر " ، ثم فعلت نفس الشيء مع

ثلاث روايات أخرى لكتاب مصريين. وبلغت روح التزمّت والمراقبة مدى غير مسبق حين أخذ عمال المطابع أنفسهم يراقبون المطبوعات بدعوى خروجها على الدين أو تضمينها صوراً عارية وكأننا نعيش في كنف طالiban .

ويعرف القاصي والداني أن أحد الناهرين اللبنانيين قد كون ثروة من طباعته رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ وبيعها في كل أنحاء العالم بينما هي ممنوعة من التداول في مصر .

### سجل القيود

وسجل القوانين المقيدة لحرية التعبير طويل . ولنبدأ بأحدثها. فبعد معركة طويلة هدد فيها الصحفيون بالإضراب وتوقيف الصحف عام ١٩٩٥ صدر القانونان ٩٥ لسنة ١٩٩٦ ، و٩٦ لسنة ١٩٩٦ حافلين مع ذلك بالمواد المقيدة للحرية رغم تخفيفها ، إذ يعاقب الصحفي بالحبس أو الغرامة ، ولا تتجاوز عقوبة الحبس مدة سنة ، أما الحد الأدنى للغرامة فهو خمسة آلاف جنيه كحد أدنى وحد أقصى عشرين ألف جنيه ، وجعل سوء النية شرطا لإعمال هذه العقوبة إتفاقا مع الأصل العام الذي يجعل حسن النية سببا عاما لإباحة الجرائم عموما .

وجرى تخفيض عقوبة الحبس في جريمة القذف فأصبحت من ٢٤ ساعة إلى سنة. ورغم حقيقة أن هذين القانونين قد خففا بعض العقوبات التي كانت مقررة سابقا لما يسمى بجرائم النشر إلا أنه أبقى على عقوبة الحبس التي تلقى الصحفيون المصريون وعدا من رئيس الجمهورية بالغائها في فبراير ٢٠٠٤ أثناء انعقاد المؤتمر الرابع للصحفيين ، وهو الوعد الذي لم يجد طريقه إلى التنفيذ حتى هذه الساعة ، وكان موضوعا أساسيا في الانتخابات الأخيرة لنقيب الصحفيين في سبتمبر الماضي .

كذلك بقيت ترسانة من القوانين المقيدة لحرية الكتاب والصحفيين دون أن تمس مثل قانون المطبوعات رقم ٢٠٠٩ لسنة ١٩٣٦ ، والمعدل بالقانون رقم ٣٧٥ لسنة ١٩٥٦ ، والقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢ .

وهناك أيضا قانون العقوبات رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ والتعديلات المختلفة التي أدخلت عليه خاصة القانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٨٢ ، والقانون رقم ١٩٩ لسنة ١٩٨٣ ، والقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢ والقانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٩٥ وصولا إلى القانون رقم ٩٥ لسنة ١٩٩٦ كما أن هناك مواد في قانون المخابرات العامة ١٠٠ لسنة ١٩٧١ والمعدل بالقانون (١) لسنة

كذلك هو القانون رقم ٣١٣ لسنة ١٩٥٦ بحظر نشر أية أخبار عن القوات المسلحة والمعدل بالقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٦٧ وقانون الأحزاب السياسية رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ والمعدل بالقانون ٣٦ لسنة ١٩٧٩ والقانون ١٤٤ لسنة ١٩٨٠ ، وقانون الإجراءات الجنائية رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠ وتعديلاته ، ومواد فى قانون الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء ، وقانون العاملين بالدولة ، وقانون الأزهر .

### منهج عقابى

وتتسم المنظومة القانونية فى مصر فيما يختص بحرية التعبير بسيادة المنهج العقابى متجاهلة أن المنهج الجنائى ليس هو أنسب المناهج القانونية لتلافى الأضرار التى تنتج عن الشطط فى حرية التعبير نظراً لطبيعة محتوى التجريم ذاته ، وهو الإنتاج العقلى ، واستعصاء هذا المحتوى على الضبط القانونى ، بينما تتجه السياسة الجنائية الحديثة للاعتماد على مواثيق الحرية وحقوق الإنسان ، بينما تبقى العقوبات السالبة للحرية فى قضايا النشر بواسطة الصحف هى السائدة فى بلادنا وهى سيف مسلط على رقاب الكتاب مع العلم أن مثل هذه العقوبات قد ألغيت فى بريطانيا فى قضايا النشر منذ عام ١٨٨٠ وألغيت فى فرنسا فى ديسمبر ١٩٢٨ ، باعتبار أن العقوبة السالبة للحرية تهدف إلى تحقيق الردع والترويع والانتقام ، وينبغى فى مجتمع متحضر استبعاد الانتقام ، أما الردع والترويع فيحول العقوبة فى قضايا التعبير والنشر إلى عقوبة مائعة لممارسة حرية الكتابة والصحافة ولا تحقق العقوبة السالبة للحرية أى صالح للمتضرر إلا الرغبة فى الانتقام .

أما إذا أنصب الوصف التجريمى على آراء أو أفكار أو عقائد أو خلجات ضمير أو نزوع عقلى فقد فقد النص الجنائى مبرر وجوده لأنه سيستحيل عليه تحقيق الردع العام والردع الخاص على السواء ، ويتحول النص الجنائى من أداة لضبط السلوك فى المجتمع عن طريق قاعدة واضحة تحظى بالاحترام من الجميع إلى أداة تستخدمها السلطة العامة للتنكيل بالمعارضين العقائديين أو السياسيين على نحو يخضع للأهواء السياسية ونزواتها .

وقد توالى أحكام المحاكم التى تحذر من أن المنهج العقابى فى مواجهة حرية التعبير لن يؤثر فقط على الكتاب والمبدعين ويحد من حريتهم وإنما سوف يمتد إلى

المواطنين الذين لا يعملون بمهنة الكتابة أو الصحافة، أى أنها سوف تعتدى على حرية المجتمع ككل، فقالت المحكمة الدستورية العليا فى أحد أحكامها. أن من الخطر فرض قيود ترهق حرية التعبير بما يبعد المواطنين عن ممارستها .

بل إن محكمة أمن الدولة العليا أصدرت حكماً فى ١٤ مارس ١٩٩٠ يقول :

"وحيث أن المحكمة تنوه إلى أن حرية الرأى هى أهم حقوق الإنسان وأول حقوق المواطن ، لا ينبغي تأميمها مهما كان ، ولا الحجر عليها بأى سبيل ، طالما لم يقتصر باستعمال القوة أو يلتزم اللجوء العنف ، أو يتصل بالدعوة للإرهاب . . وأى قيد يوضع على حرية الرأى مهما كان وكيفما بدا لا بد أن ينتهى إلى مصادرة الحريات جميعاً حلقة بعد حلقة ، وحالة إثر حالة ، مما يؤدى إلى نظام ديكتاتورى بغضض تضعيع فيه كل القيم ، وتمحى كل المبادئ وتتلاشى فكرة المواطنة ، ويتبدد مبدأ سيادة القانون " .

وكما يقول الدكتور " محمد نور فرحات " أستاذ ورئيس قسم فلسفة القانون بكلية الحقوق جامعة الزقازيق :

" فالظن عندى أنه لو كان جهاز الدولة جادا فى تطبيق النصوص السابقة لتوقفت الأقدام عن الكتابة ، وتوقفت جميع الألسن عن الحديث ، ولكان أصحابها فى زنازين السجون، فعبارات مثل الكراهية والإزدراء والتحبيد والترويع ضد النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية ، وبغض الطوائف ، والإساءة إلى سمعة البلاد ، والعيب فى حق الملوك والرؤساء وممثلى الدول الأجنبية وإهانة المجالس النيابية، هذه العبارات التى تتسع لأى محتوى أو مضمون من شأنها، لو طبقت بجدية، أن تغلق صحف مصر وأن يتحول أصحاب الرأى إلى فيالق المجرمين وأرباب السوابق الجنائية "

ويعنى عدم تطبيق هذه العقوبات إدراكا واضحا من قبل الإدارة أنها عقوبات بالية وأن العالم قد تغير ، كما يعنى أن كفاح الحركة الديمقراطية والكتاب فى القلب منها قد أثمر هذا الهامش القائم من الحرية ، لكنها مع ذلك تبقى سيفاً مسلطاً تلوح به السلطة وتستطيع استخدامه فى أى وقت .

ويشكل التهديد بالحبس ناهيك عن الحبس الفعلى رعباً حقيقياً للتاس كافة ومنهم الكتاب ، ففضلاً عن أن الحبس يمكن أن يؤدى إلى تدمير عائلات فمن المعروف أن التعذيب قد أصبح شائعاً فى السجون المصرية التى تدهورت أحوالها ومات فيها من

مات بسبب التعذيب أو الإهمال .

ومع ذلك فقد امتد كفاف الصحفيين والكتاب المصريين منذ القرن التاسع عشر ضد كل أشكال العدوان على حرياتهم وحرية الوطن سواء في مواجهة الإحتلال ، أو الاستبداد ملكيا كان أو جمهوريا ، وضد الإستغلال والفساد ومن أجل حرية الفكر والتعبير والتنظيم والحركة ، ودفعوا من حرياتهم وأرزاقهم ثمنا باهظا على إمتداد السنين ، فسمجن من سجن وقتل من قتل ومنع من منع من الكتابة والسفر ، وغادر البعض منهم طوعا أو قسرا إلى المنفى .

ودفع تطور الفكر نفسه ثمنا آخر حين تعطلت مناهج علمية جديدة كان أصحابها قد استخدموها في ميدان البحث ، وحين صودرت الكتب التي جرى إنجازها طبقا لهذه المناهج تعلمت الأجيال الجديدة درس القمع ، وتجنبت إستخدامها لاجئة إلى التقليد والتكرار واستخدام ما لا يثير حفيظة حراس القديم . حدث ذلك بعد مصادرة " في الشعر الجاهلي " لطلح حسين ، ثم مصادرة " الإسلام وأصول الحكم " للشيخ على عبد الرازق ، ويعد قتل " فرج فودة " بسبب قراءته الجديدة لتاريخ الخلفاء الراشدين في كتاب " الحقيقة الغائبة " . وامتنع الروائيون منذ مصادرة رواية " نجيب محفوظ " " أولاد حارتنا " عن تناول تاريخ الخليفة فنيا . وتمرضت القراءة التاريخية الموضوعية التأويلية للنصوص الدينية والرسالات السماوية للإتقطاع بعد تطبيق زوجة " نصر حامد أبو زيد " منه بدعوى الإرتداد وتطهير المكتبات من كتبه .

ويعد أن كنا قد قطعنا شوطا طويلا على طريق فصل الدين عن العلم باعتبارهما ميدانين مختلفين كلية أخذنا نقرأ على صفحات أكبر الصحف والمجلات بحوثا لإثبات وجود كل قوانين العلم في الكتب المقدسة ، كما إتسع نطاق ظاهرة أسلمة العلوم من الفيزياء إلى الرياضيات .

ولكن رب ضارة نافعة كما يقال ، ففي ميدان الإبداع الضنى أخذ الكتاب يبحثن عن سبل لتوسيع رقعة الحرية في مواجهة هذه المنظومة من القوانين والقيم والممارسات ، فأخذوا يبتكرون الرموز ، وينهلون من متبع الأساطير والحكايات الشعبية ، وبناء شخصيات

خرافية تشير من باب خفى لشخصيات سياسية تعيش بيننا ، وإن كان ذلك كله يحدث فى نطاق ضيق وفى ظل قمع الحريات العامة .

ولكن هذا النفع الضئيل لا يمكن أن يقارن حجماً وتأثيراً بالضرر الهائل الذى ألحقته أشكال الحصار بالإبداع الفنى والفكرى وبحياة الكاتب وخياراته .. ذلك أن القدر المتوفر من الحرية لا يكفى كاتباً واحداً حقاً فى عصر يوصف بأنه عصر الحرية وحقوق الإنسان، وحيث تأتى البلدان العربية فى ذيل القائمة على صعيد العالم من حيث توفر الحريات فيها. وما يجرى قمعه ليس فى واقع الأمر حرية الكاتب وحده وإنما حرية المجتمع أيضاً، والكاتب ليس مجرد فرد ينتمى إلى طبقة اجتماعية ويتحصل على تكوينه فى بيئة ثقافية محلية وعالمية معينة يتوفر على قدر من الحرية فيها طبقاً للقانون والمناخ العام فحسب ، ولكن الجمهور الذى يتوجه له هو عنصر حماية أصيل لحريته أو عنصر تعطيل، وقال " محمود درويش " إن الجمهور فى داخلى فأنا أيضاً جمهور . فإذا كانت الأمية تنتشر فى أوساط هذا الجمهور فإن ذلك ينتقص من حريته ، وإذا كانت قطاعات واسعة من الجمهور القارئ تتجه إلى اعتناق الأفكار التقليدية والمحافظه وتؤثر عليها الجماعات الدينية الرجعية على نطاق واسع فإنها تكبل حرية الكاتب وتزيد من القيود المفروضة عليه وتحاصر خياله وتحد من إنطلاق أفكاره وتشده شداً إلى ما هو قائم فلا يتجاوز حدوده الصارمة ، فنظل نراوح فى مكاننا إذا تقدمنا خطوة إلى الأمام على طريق الحداثة والديموقراطية والحرية سرعان ما تشدنا هذه القوى التقليدية الجبارة إلى الخلف ، ويتواصل الصراع من أجل حرية بلا ضفاف .



## في ظل المادة الثانية من الدستور المصري المواطنة في الأسر

القس / رفعت فكرى سعيد

راعى الكنيسة الإنجيلية بأرض شريف - شبرا مصر

### خلفية تاريخية موجزة :-

خلت الوثائق الدستورية التى عرفتها مصر فى بداية إطلالها على التنظيم الدستورى من أى إشارة إلى دين الدولة أو إلى الشرائع الدينية كمصدر للتشريع، وهذا واضح فى لائحة تأسيس مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ والأمر العالى للائحة مجلس النواب الصادر فى فبراير سنة ١٨٨٢، والقانون النظامى المصرى الصادر فى مايو ١٨٨٣، والقانون النظامى رقم ٢٩ لسنة ١٩١٣ المختص بالجمعية التشريعية المصرية والواقع يقول إن النص فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لم تعرفه الدساتير والوثائق القانونية فى مصر إلا مع صدور دستور ١٩٢٣. إذ نص فى المادة ١٤٩ منه على أن الإسلام دين الدولة واللفظ العربية لفتها الرسمية، ثم تبنت الدساتير اللاحقة هذا النص فورد بعباراته فى المادة ١٣٨ من دستور ١٩٣٠، بالمادة الثالثة من دستور ١٩٥٦ وإن كان قد جرى إغفاله فى دستور الجمهورية العربية المتحدة المؤقت لعام ١٩٥٨ وفى الإعلان الدستورى الصادر فى سبتمبر ١٩٦٢، إلا أن النص عليه عاد مرة ثانية فى المادة الخامسة من دستور ١٩٦٤، ولكن دستور ١٩٧١، خطأ خطوة أكثر إيفالا فى الربط بين

القانون والدين، لأن السادات عقب تسلمه السلطة بعد وفاة عبد الناصر، كان واضحاً من مجمل سياساته أنه يتوود ويتقرب للجماعات الإسلامية التي اغتالته في حادث المنصة الشهير في أكتوبر من عام ١٩٨١، وأنه كان يبحث عن شرعية جديدة تميز نظامه عن نظام يوليو ١٩٥٢، وتمثلت هذه الشرعية في إكساب الدولة طابعاً دينياً فيما عرف وقتئذ بدولة العلم والإيمان وفيما لقب به الرئيس المؤمن، فلم تكتف المادة الثانية من الدستور بأن الإسلام دين الدولة كما كان الحال في الدساتير السابقة بل اعتبرت الشريعة الإسلامية مصدراً رئيسياً للتشريع، وفي حقيقة الأمر كانت هذه أول مرة في التاريخ القانوني المصري الحديث يكتسب الربط بين النظام القانوني والشريعة طابعاً دستورياً منذ الدول من اعتبار فقه الشريعة هو النظام القانوني الحاكم والأخذ بنظام التقنيات الحديثة سنة ١٨٨٣ بعد أن أدخلت هذه المادة إلى الدستور المصري لأول مرة في دستور ١٩٧١ وعدلت في ٢٢ / ٥ / ١٩٨٠ لتصبح الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع بدلاً من كونها مجرد مصدر رئيسي دون أداة التعريف وجرى مع هذا التعديل في سلة واحدة تعديل آخر للمادة ٧٧ من الدستور بإطلاق مدد ولاية رئيس الجمهورية دون حد أقصى بإطلاق "المدد الرئاسية" لكي تكون بلا حدود، بعد أن كان حدّها الأقصى مدتين، أي ١٢ عاماً. وكان الرئيس السادات قد قارب هذا الحد الأقصى (١١ عاماً). أي أن المادة الثانية بنصها الحالي هي بمثابة صفقة أو رشوة تبادلية لتمرير مواد أخرى تخدم أغراض الحكام وليس مقاصد الشريعة.

وهكذا صوت المصريون وقتئذ بالموافقة على أن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع مثلما صوتوا بالموافقة على أن يكون رئيسهم رئيساً إلى الأبد. وهذا النص الدستوري يحتاج منا إلى إعادة قراءة بروح متأنية وبمزيد من التعقل لخير الأجيال المقبلة من أبناء هذا الوطن، فنحن، ومنذ القديم، دولة متعددة الديانات والمذاهب والأعراق، فالعرق اليفاشي - نسبة إلى يافث ابن نوح - موجود منذ هجر التاريخ، منذ زمن الرومان واليونان تقريباً، وكذلك العرق السامي - نسبة إلى سام ابن نوح - الذي جاء مع القادمين من بلاد العرب وقت دخول الإسلام، ثم إن مصر تنتمي أساساً إلى "مصريايم" ابن حام ابن نوح، وهكذا فأصل المصريين جميعاً يرجع إلى هذا العرق "الحامى"، وأما من ناحية الديانات فإن الديانات الثلاث الرئيسية قد احتضنت بعضها بعضاً وتعاقدت على أرض الكنانة، بعد أن أفسحت الديانات الفرعونية القديمة

المكان لها، وظلت الثقافات المنبعثة عن هذه الديانات متألفة، حتى أننا اليوم نرى في عادات المصريين ما هو فرعوني الأصل ومنها ما هو مسيحي، ومنها ما هو إسلامي الطبع، فقد عاشت الحضارة القبطية لما يزيد عن ألف ومائتي عام، بعد دخول المسيحية، حضارة مصر الرئيسية، ثم ما لبثت أن امتزجت مع حضارة الإسلام مع القرن السادس الميلادي حتى اليوم، وعن المذاهب ففي المسيحية يوجد اليوم الإنجلييون (بمذاهبهم المتعددة) والكاثوليك والأرثوذكس. وسجل التاريخ وجوداً للإسلام الشيعي على أرض مصر في عهد الدولة الفاطمية (التي أنشأت أصلاً الجامع الأزهر معقل الإسلام السني اليوم)، ثم الإسلام السني حتى اليوم.

وهي القطب السني، لا غضاضة أن تكون حنبلياً أو مالكيّاً أو شافعيّاً أو حنفيّاً، فكل من هذه المذاهب المتعددة يصب في نفس الرافد، رافد الإسلام السني، هذا معناه أن الساحة الوحيدة التي لا يمكن مراقبتها أو الحجر عليها هي ساحة الفكر والدين والضمير، فهي ساحة مطلقة السراح. وهل توحيد ساحة الفكر والدين - لو استطعنا إلى ذلك سبيلاً - هو الحل؟ لا بالمرّة، فلا زال المؤرخون حتى اليوم لا يعرفون هل كان انضمام الإمبراطور قسطنطين للمسيحية وتوحيد الإمبراطورية كلها في هذا الاتجاه، لعنة أم بركة؟ وحينما قرر الفرعون "أخناتون" توحيد العبادة المصرية وإغلاق كل معبد مخالف لمذهبه وتكفير كل الديانات المغايرة تمزقت إمبراطوريته في حياته وانكسرت مصر داخل حدودها الإقليمية!! وحين انتهى زمن الاجتهاد بعد الخليفة العباسي "المعتكّل" وسيطر الدين الواحد والقطب الواحد (الإسلام السني) سجل التاريخ تراجعاً للحضارة العربية لصالح الأتراك والألبان وغيرهم، ودخلنا نفق التخلف المظلم خلال العصور الوسطى!! هذه الأمثلة هي غيض من فيض، ويمكن سوق مزيد من الأمثلة. إذن، التعدد بركة، ولا يجوز نصرة دين أو ثقافة بالقوة على دين آخر، فما بالكم بالأحرى حينما يكون ذلك دستورياً وقانونياً!! (١)

والدستور كما يقول جان جاك روسو هو تسجيل لعقد يحول رغبات الأمة إلى مبادئ محددة للمعمل. لذا لا يصلح أبداً أن نفترض حسن نية المشرع وهو يضع المادة الثانية في صدر الدستور المصري، لماذا؟ لأن الدول - وهي تضع دساتيرها - قصدت أن تكون لغة الدساتير واضحة، قاطعة، جامعة، مانعة، لا تحتمل لبساً، أو غموضاً، ظاهراً كباطنها، لكون الدستور - في الواقع - هو مجموعة من القواعد القانونية العامة

والمجردة التى يجب أن تنطبق على كل إنسان (لاحظ كلمة كل)، داخل الوطن الواحد، بصرف النظر عن أية اعتبارات أو عوامل أخرى، وعليه، فكل الدول "المتقدمة" نات بنفسها عن هذا المنزلق الطائفى الخطير عند وضع دساتيرها، ولم تبق دساتير طائفية — تميز بين المواطنين على أساس عرق أو دين — إلا دساتير دول قليلة جداً، من المؤسف والمخجل أن تكون من بينها مصر!!

ويظن الكثيرون أن الحكم الدينى يعنى قيام رجال الدين بالحكم مباشرة، لكن التعريف الصحيح للدولة الدينية هو فى الواقع الذى يكون فيه الجهد الأساسى موجهاً نحو تطبيق قوانين (إلهية، وبالتالي فهو يعنى أى نظام حكم يستند بصورة أو بأخرى إلى مرجعية دينية. ومن ثم فالدستور المصرى يؤسس لنظام حكم دينى ثيوقراطى، ومفهوم الدولة الحديثة ككيان سياسى اجتماعى يستند إلى الشعب مصدراً للسلطات يتنافى بصورة مبدئية مع شكل ومفهوم الدولة الدينية، فالدولة الحديثة لا تستلهم السلف الصالح على حساب الخلف الطالح. الدولة الحديثة تتعامل مع النسبى والواقعى وليس مع المطلق والغيبى. الدولة الحديثة عقلانية ولا تزعم إنها دولة الكمال لكنها دولة السعى المستمر نحو الأفضل (٢).

وعندما استخدم مصطلح (دين الدولة الرسمى) فى بعض الدول الأوروبية حتى عهود قريبة فهذا لم يكن يعنى أكثر من تنظيم إدارى بحث مثل أن يقوم جهاز الدولة بتحصيل تبرعات مع الضرائب من المواطنين الراغبين لصالح المؤسسة الدينية الرئيسية فى البلاد، مع ضمان حق باقى المواطنين فى دفع تبرعاتهم التى تتمتع بنفس المميزات الضريبية لمؤسسات دينية أخرى بحسب اختيارهم. ولم يكن المصطلح يعنى بأى شكل معاملة تفضيلية ولا أن تتأثر الدولة فى سياساتها أو قوانينها بتوجهات تلك المؤسسة أو الدين الذى تتبعه (٣) فالتمتع بكافة الحقوق والحريات المدنية لا يتوقف على المعتقدات الدينية للفرد. ويدرس الكثير من دساتير الدول المتقدمة لا يمكن أن نجد دولة متقدمة تضع لنفسها مادة تقول "أن الدين الرسمى للدولة هو الدين المسيحى"، ومن ثم فإن تلك المادة لا تضيف إلى الدولة شيئاً، ولكنها على العكس تزيد من انعزالها وانعزال مواطنيها فى الداخل الذين لا ينتمون إلى ذلك الدين.

## أسباب موضوعية تؤكد تنافى المادة الثانية مع المواطنة -

١ - ليست الدولة شخصاً طبيعياً، بل هي شخص اعتباري، والشخص الاعتباري كائن معنوي لا دين له فهي لا تصلى ولا تصوم ولا تحج ولا تدفع الزكاة، لذلك فالقول بأن للدولة ديناً رسمياً هو قول غريب وغير مفهوم. فالدولة مهمتها الوحيدة (ينبغي أن تكون) تنفيذ عقد اجتماعي وسياسي مع مواطنيها هنا على الأرض، وليس محاولة إدخالهم إلى جنة النعيم في العالم الآخر، فليس من مهام الدولة إدخال الناس للجنة. إن الدين والشريعة كما يقول المستشار محمد سعيد العشماوي معنيان بالإنسان لا بالنظم. بالضمير أكثر من القواعد القانونية. كما أنه بالنص على وجود دين للدولة "يصبح هناك دين مميز للدولة وبالتالي ينقسم المواطنون إلى فريقين أولهما يتبع ذلك الدين وبالتالي فهو صاحب الحقوق والامتيازات والثاني من أتباع الديانات الأخرى ينتظر المنح والهبات، مما يكرس مفهوم "الذمية" دستورياً ويجعل الدولة مدافعا وحاميا للدين لا للوطن". والنتيجة هي "مجموعة من القوانين والقرارات والأعراف المذلة والمنقوصة لحقوق من لا يدينون بدين الدولة". ومن هنا فإن نص المادة الثانية بوضعه الحالي يثير اللبس ويرتب نتائج قانونية غير متفق عليها.

٢ - تتناقض المادة الثانية مع إدعاء أن "مصر دولة مؤسسات ديمقراطية"، فأسس المبدأ الديمقراطي هو المساواة الكاملة بين المواطنين، فما بالنا بحق المواطنة الذي ينفيه الدستور المصري عن بعض المواطنين لأنهم خارجون عن الدين الرسمي للدولة؟ فهذه المادة تعلن بوضوح أن الدولة تمارس حمايتها ورعايتها لدين قسم من رعاياها وتخلع مظلة الحماية عن الآخر. فالقارئ للمادة الثانية حتماً سيفهم أن في البلد أدياناً أخرى غير الإسلام، يدين بها مواطنون غير مسلمين. ثم لا بد أن يستنتج أن الدولة لا تعترف بأديان أخرى لأبنائها، لأنها لا تعتبرها رسمية. وما حدث مؤخراً يؤكد هذا، فقد استندت المحكمة الإدارية العليا إلى المادة الثانية في حكمها بإلغاء حكم القضاء الإداري بأحقية البهائيين في إثبات ديانتهم بالأوراق الرسمية، حيث قالت المحكمة في حيثيات الحكم: إن الاعتراف بالبهائية كديانة مثبتة بالأوراق الرسمية يخالف ما استقرت عليه الآراء الفقهية والفتاوى الصادرة من جهات الاختصاص، كما يعد خروجاً على أحكام الدستور، مما قد يؤثر على المجتمع وأفراده من جراء عمليات التبشير التي تستهدف النيل من الدين الإسلامي. وأضافت الحثيثيات، أنه طبقاً لما نص عليه الدستور وانتهت إليه مواده، فإن الأديان المسموح بإقامة شعائرها في مصر هي

الأديان السماوية الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية. واضح من هذا الحكم أن الدولة تنفى بعضاً من مواطنتها، ليس بسبب تقصيرهم في واجبات المواطنة، وإنما بسبب عقيدتهم !! إذاً الدستور يفرق ويميز رسمياً بين أبناء الوطن الواحد، ويصنفهم درجات في المواطنة حسب الدين، وليس حسب ولأنهم للوطن أو جذورهم الوطنية.

إن إعلان الدولة بأن الدين الرسمي هو الإسلام يشكل انتهاكاً وتمييزاً وتحقيراً للديانات الأخرى ويصفه خاصة للمسيحيين، مما يؤدي إلى إعاقة تمتعهم وهم أبناء شعب مصر بأي حق من الحقوق المنصوص عليها في الوثيقة الدولية بالحقوق المدنية والسياسية بما في ذلك المادة ١٨ الخاصة بحرية الديانة والمادة ٢٧ الخاصة بحقوق الأقليات الدينية. والحرية الدينية جزء لا ينفصل عن حرية الرأي والتعبير، وطبعاً يرتبط بهما حرية أداء الشعائر الدينية، وهي حرية مكبلة بالقيود على الرغم من ادعاءات المساواة، فلا تبنى كنيسة جديدة إلا بقرارات صعبة ومعقدة . ولا تجرى فيها إصلاحات إلا بقرارات إدارية وبيروقراطية أكثر صعوبة. والأخطر من هذا كله أن الحرمان من المواطنة الكاملة يبيح ولو بشكل مستتر تعرض أصحاب الأديان الأخرى للعدوان على أرواحهم وممتلكاتهم. وهذا ما حدث ولا زال يحدث. !!

إن الدستور هو أبو القوانين وأن الدولة المدنية تعنى ببساطة فصل السلطتين الدينية والسياسية مع ضمان احترام المعتقدات الدينية والهويات الثقافية والروحية للشعوب والمجتمعات. انها تعنى أن الدولة هي دولة قانون واحد يطبق على جميع المواطنين سواسية حقوقاً وواجبات بغض النظر عن الدين. انها "دولة المواطنة" لا دولة مواطنين من درجات (سني - شيعي - بهائي - قادياني - شيوعي - ذمي - كافر).

أما عن مبدأ لهم مآلنا وعليهم ما علينا، الذي يراد به الإيحاء بنوع من المساواة بين المسلمين وغير المسلمين فهو يحتاج إلى تفسير واضح في ضوء بعض الأمور مثل دفع الجزية وأنه لا تقبل شهادة غير المسلم ضد المسلم . ولا يقتل مسلم بكافر . لا يرث غير المسلم في المسلم . وبينما يصرح بزواج المسلم من الكتابية فالعكس -أي زواج الكتابي من المسلمة - محرم برغم عدم وجود نص قرآني صريح يحرم هذا الأمر، وذلك لأن الفقهاء استندوا ببساطة إلى مبدأين في أن واحد وهما: لا مساواة بين المسلم وغير المسلم الذي يستند بدوره إلى مبدأ الاسلام يعلو ولا يعلى عليه ومبدأ الرجال قوامون على النساء . ومن هنا فالارتكان إلى مبدأ لهم مآلنا وعليهم ما علينا، لا يؤكد من قريب أو بعيد على المساواة التي ينبغي أن يكون النص الدستوري حولها قاطعاً وحاسماً

ويدون التواء . فنص المادة الثانية بصورته الحالية في حد ذاته هو تمييز للمسلمين عن اتباع الديانات الأخرى أو اللادينيين . وسيكون حجة لتيارات سياسية لتفرض رؤيتها ومصالحها وتقيم دولة دينية يكون رايها في كل أمور الوطن هو رأى السماء الذى لا يقبل النقاش والقبول والرفض :

٣- وجود المادة الثانية في الدستور بهذا الشكل ينسف الأساس الذى تقوم عليه أى نصوص أخرى مذكورة في نفس الدستور أو في القوانين حول المساواة في حقوق المواطن أو حول الحريات الأساسية وضماناته ؛ إذ لا يمكن أن تفسر هذه المواد إلا في ضوء تلك المادة . ويقاء هذه المادة على ما هي عليه منذ عام ١٩٨٠ ، سيكون متناقضا مع حقوق المواطنة ومع المادة ٤٠ التى تنص على : ( المواطنون لدى القانون سواء ، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة ) ، ومثل هذا التناقض هو شأن معيب يهز القيمة العليا لدستور البلاد وينقص منه . " أن النص الرسمى على دين الدولة ليس موجوداً في أى دولة مدنية متقدمة في العالم أجمع " . قد يكون هناك نص أن الدولة تحترم جميع الأديان ولكن دون النص على دين رسمى لها . لأن من واجبات الدولة أن تحمى حقوق المواطنين - كافة المواطنين - بصرف النظر عن دين هؤلاء المواطنين أو جنسهم أو لونهم أو معتقداتهم . وإن أقرت لها ديناً رسمياً فمعنى هذا أنها تنحاز إلى فئة دون أن تدري مهما حاولت بعد ذلك أن تضع بنوداً في الدستور تؤكد على مساواة المواطنين مثل المادتين ٤٠ و ٤٦ من الدستور المصرى ، لأن المادة الثانية من الدستور قد نسخت " ألغت " تماماً هاتين المادتين اللتين تنصان على مساواة المواطنين أمام القانون وحرية المعتقد . لا يصح أن تقول أى دولة أنها " مدنية " وفي نفس الوقت تقول إنها دولة لها دين رسمى .

٤- إن كانت المقترحات المعروضة على مجلس الشعب تؤكد حظر تأسيس أحزاب سياسية على أساس ديني ، إلا أن المشكلة تتركز في أن المادة الثانية من الدستور ربما تتسبب في وجود حزب سياسى ديني ، وهذا ليس بقريب في ظل قانون الأحزاب السياسية الذى يشترط قيام الأحزاب على مرجعية إسلامية والإيمان بما نص عليه الدستور . فهذه المادة تمهد لقيام الدولة الدينية التى تحلم بها جماعة الإخوان المسلمين المحظورة وتقوى من نفوذهم وهم يعدون أنفسهم للوصول إلى السلطة والحكم ، ولنفترض أن " الإخوان المسلمين " قد قرروا التقدم بطلب لقيام حزب لهم ، ولن

يذكروا في برنامج حزبهم أكثر من أن يكون هدفه الرئيسى "تفعيل المادة الثانية من الدستور وإقامة حكم يستند تماما إلى شرع الله". ماذا سيكون رأى لجنة الأحزاب والمحاكم الإدارية والدستورية التى ستفصل فى مثل هذا الطلب بناء على الفقرة المقترحة بحظر تأسيس أحزاب سياسية على أساس دينى ؟ كيف يستقيم حظر إنشاء أحزاب سياسية على أساس دينى مع المادة الثانية التى تحدد موقع الدين من الدولة من خلال النص على أن الإسلام دين الدولة، ومبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ؟ إذا سعى الإخوان أو أى جماعة إسلامية أخرى إلى إنشاء حزب سياسى يقوم على تفعيل هذا النص الدستورى، فهل يعد ذلك غير دستورى ؟ النظرة القانونية الظاهرية تقول إن هذا الحزب سيكون أكثر الأحزاب اتساقاً وتماشياً مع الدستور!!.

الخلاصة هى إن الفقرة المقترحة، فى السياق الدستورى الحالى، ستؤدى عملياً إلى استحالة قيام "حزب مسيحى" ولكنها لن تمنع قيام "حزب إخوانى"!! ولهذا يبدو التعديل المقترح على المادة الخامسة بحظر الأحزاب الدينية لا معنى له سوى حظر الأحزاب الدينية غير الإسلامية بالذات. بل يمكن القول إنه فى ظل وجود المادة الثانية من الدستور تكون الأحزاب الدينية الإسلامية هى الأحزاب الأكثر مشروعية واتساقاً ليس مع الدستور فقط ولكن مع الممارسا السائدة فى الدولة ومع التوظيف السياسى الحكومى المتنامى للدين وللمؤسسة الدينية الرسمية فيها(٤).

٥- إن هذه المادة وهى تنص على أن (الإسلام هو الدين الرسمى للدولة) لم تحدد لنا أى إسلام تقصد- فليس هناك إسلام واحد معلوم للجميع - هل هو الإسلام كما مارسه طالبان، أم هو الإسلام الوهابى المتشدد ؟ أم هو إسلام الإرهابيين الذين يجهلون المجتمع ويقترون غيرهم من المسلمين ؟. إن كلا من هؤلاء ادعى أنه وحده الفرقة الناجية من النار وأنه وحده يمتلك الحقيقة الإسلامية الكاملة!! وبالطبع المادة الثانية تستبعد عن الإسلام المذاهب غير السنية مثل الشيعة الاثنا عشرية، والقاديانية، رغم اعتقاد هؤلاء أنهم على إسلام سليم، فهم يؤمنون بالقرآن والسنة ويجاهرون بالشهادتين وهما المدخل المعترف به للإسلام.

٦- إقحام الدين فى السياسة هو خلط يمسئ لكليهما إذ يسعى لمد غطاء التقديس على ما هو غير مقدس ظناً أو ادعاء بأن فى ذلك تنفيذاً لإرادة الإله وإعلاء لشرعه. والاعتراض على قوانين أو ممارسات ذات مرجعية دينية سرعان ما تجرى إدانته وحظره



باعتباره تعدياً على الدين نفس» ثم الدخول في دوامة الكفر والالحاد التي تؤدي بالمجتمع كله إلى هاوية سحيقة لا بد أن تنتهي إلى أعمال العنف والإرهاب، بينما الأصل إنه لا توجد قداسة في السياسة ونظم الحكم .

٧- نص المادة الثانية يتحدث عن الشريعة بينما هو في الحقيقة يتعلق بالفقه، يقول المستشار العشماوي ( إن لفظ الشريعة لا يعنى في القرآن الكريم ولا في قواميس اللغة العربية القواعد القانونية وإنما معناه المنهج ، السبيل ، الطريق ، ماشابه. ويضيف إنه قد حدث للفظ الشريعة في الفكر الإسلامي تعديل عدة مرات من المعنى الأصلي ثم اتسع ليشمل القواعد القانونية التشريعية الواردة في القرآن، ثم امتد ليضم أيضاً القواعد الماثلة في الأحاديث النبوية، ثم تغير المعنى ليشمل الشروح والتفسيرات والاجتهادات والآراء والفتاوى والأحكام التي صدرت لأيضاح هذه القواعد أو القياس عليها أو الاستنتاج منها أو تطبيقها بأى الفقه. وأوضح أن كاتبى تقرير اللجنة الخاصة حول التعديل الدستوري في مايو ٨٠ خلطوا الأمور وأصبحوا يتحدثون عن الفقه باعتباره الشريعة ، إذن فالأمر يتعلق بفقه وضعه أناس معرضون للخطأ والسهو والنسيان عاشوا في القرنين الثانى والثالث الهجري، وكانوا يعكسون أحوال مجتمعاتهم السياسية والاجتماعية والفكرية في فهمهم وإسقاطاتهم للنصوص الدينية، وبالتالي فليس هناك سبب لتقديس ما انتهى الفقهاء إليه في مدارسهم المختلفة . والمبدأ طبقاً لتحريف القاموس هو تعميم أولى يقبل على إنه حقيقى ويمكن استخدامه كقاعدة للتفكير أو التصرف ، قاعدة أو معيار يشكل أساساً لشيء آخر، إطار عام موجه على مستوى عام وقابل للتطبيق بصورة عامة. فياترى ماهى مبادئ الفقه الإسلامى التى لها صفة العمومية والتى هى معروفة للكافة وهناك إجماع شامل حولها ؟ الحقيقة هى أننا لا نعلم بالضبط وعلى وجه التحديد!! وكم نتمنى أن يتكرم أهل العلم بعمل قائمة من المبادئ المحددة بوضوح جازم يسمح لها بأن تكون صالحة للاستعمال فى المقارنة والمقابلة مع غيرها من المبادئ عند محاولة كتابة نص خطير يتعلق بمصادر التشريع فى دستور عصرى حديث (٥) .

ويقول الدكتور إبراهيم شحاته فى كتابه وصيتى لبلادى ( فى حين أننا جميعاً نعلم أن أكثر التشريعات الجديدة تعالج مسائل معقدة تتعلق بالاستثمار والبنوك والتجارة والبيئة والأمن والانتخابات والتأمينات الاجتماعية وغيرها من المسائل التى تواجه أى دولة حديثة والتى تخاطبها مبادئ الشريعة كما فسرت حتى الآن من حيث عمومياتها

فقط وليس من حيث التفاصيل التي ينبغي ابتداعها لتناسب الظروف الحالية فهل من الواقعي أن نقول إن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر (الرئيسي) للتشريع ؟ وهو ما لا ينطبق حتى على تشريعات الدول التي تنسب دساتيرها بطابع إسلامي واضح ؟ إن معظم القوانين الحديثة في دول مثل إيران والمملكة العربية السعودية مثلها مثل القوانين الحديثة في الدول الأخرى جميعها لا تستمد مصدرها من الكتاب والسنة مباشرة بقدر ما تستند إلى الدراسات الخاصة بمواجهة المشاكل العملية الجديدة والسياسات التي اتبعت في الدول المختلفة ، والقول بغير ذلك هو قول سياسي قد يرضى الجماهير ولكنه لا يعبر عن الواقع، ويدفعنا هذا إلى الاعتقاد بأن النص كما جاء في الدستور المصري كان مزايدة سياسية أكثر منه تقديرا لما يمكن أن يحدث في الواقع مهما خلصت النوايا. وقد كان النص يخدم الغرض منه بصورة أوضح لو أنه طالب المشرع بأن يستلهم في التشريعات التي يصدرها مبادئ الشريعة وقيمها العليا ، أو حتى إن ذهب إلى أبعد من ذلك وطالب بأن لا يخالف التشريع مبادئ الشريعة وقيمها العليا دون التزيد بما لا يمكن أن يحدث عمليا (٦).

وبرغم أن النص يستخدم تعبير (المصدر الرئيسي) أي أن هناك مصادر أخرى غير رئيسية فإن النص لا يشير إلى أية مصادر أخرى مثلما تنص دول إسلامية - بل تحكمها أحزاب دينية - في دساتيرها، مما يرجح أن المشرع (مجلس الشعب) قصد أن يقول إن الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع وليس الرئيسى. ويؤكد هذا الاستنتاج الرجوع إلى تقرير اللجنة الخاصة بالإعداد لتعديل الدستور (عام ١٩٧٩) في تقريرها إلى مجلس الشعب بخصوص تعديل المادة الثانية الذي صارت بمقتضاء مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع (بدلا من أن تكون أحد مصادره) وذلك في مايو ١٩٨٠. تقول اللجنة وتقريرها أو تفسيرها: إن المقصود بالنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسى هو أن (تلتزم المشرع بالالتجاء إلى أحكام الشريعة الإسلامية للبحث عن بغيته فيها مع إلزامه بعدم الالتجاء إلى غيرها) (أرجو وضع عشرة خطوط تحت كلمة غيرها) فإذا لم يجد في الشريعة الإسلامية حكما / جوابا صريحا فإن وسائل استنباط الأحكام من مصادر الاجتهاد في الشريعة الإسلامية تمكن المشرع من التوصل إلى الأحكام اللازمة والتي لا تخالف الأصول والمبادئ العامة للشريعة أي إنه لا مجال للحديث عن أي مصدر آخر خلافا للشريعة الإسلامية حتى لو لم تكن تملك جوابا صريحا، بل يجب الاجتهاد



داخل أحكام الشريعة ذاتها وليس التوجه إلى الأديان الأخرى في المجتمع كالمسيحية أو الأعراق والعتقائد والثقافات السائدة في المجتمع مثلما تفضل دساتير أخرى بما في ذلك دستور السودان الإسلامي(٧) .

وقال الإمام الجزائري الفقيه محمد بن الفضيل: إذا أردت أن تتهرب من أحكام الزكاة..... كن شافعيًا؛ إذا أردت أن تخرج عن أحكام الربا..... كن مالكيًا؛ إذا أردت أن تخرج عن أحكام الخمر..... كن حنفيًا؛ إذا أردت أن تخرج عن أحكام الزواج..... كن شيعيًا؛ "وبذلك تخرج من الشريعة بالشريعة" ..

٨- وقعت مصر على المواثيق والقوانين الدولية لحقوق الإنسان ومن ثم فهذه المواثيق صار لها قوة القانون المصري وفقا للمادة (١٥١) من دستور جمهورية مصر العربية التي تقول ( رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات، ويبلغها مجلس الشعب مشفوعة بما يناسب من البيان. وتكون لها قوة القانون بعد إبرامها والتصديق عليها ونشرها وفقا للأوضاع المقررة ). والمادة الثانية من الدستور تتعارض مع بعض المواد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وعلى سبيل المثال المادة ٦، والتي تنص على أن لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية، والمادة ٧ التي تنص على أن كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعاً الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا، وإيضاً المادة ١٨ التي تنص على أن لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة؛ وكذلك المادة ١٩. والتي تنص على أن لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.

وكذلك تتعارض المادة الثانية مع الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية وكذلك المادة الثانية من القرار رقم ١٣٥/٤٧ بشأن إعلان حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات دينية الصادرة في ديسمبر ١٩٩٢ من الجمعية العامة للأمم المتحدة وجدير بالذكر أن لجنة حقوق الإنسان للأمم المتحدة، في ردها على تقرير مصر عام ٢٠٠٢ بعنوان ( دواعي القلق الرئيسية ) سجلت اللجنة ملاحظة بشأن إعلان مصر بالتحفظ

استناداً إلى الشريعة الإسلامية عند التصديق على العهد الدولي بـ

( الطابع العام والملتبس وأيضاً التحفظ المتعلق بالشريعة الإسلامية على بعض مواد الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وبينما مصر ترى أن الشريعة الإسلامية والمادة الثانية من الدستور تتوافق مع أحكام ونصوص الجوانب الدولية، إلا أن لجنة حقوق الإنسان تأسف ( لانعدام الوضوح الذي يغلف مسألة القيمة القانونية المعطاة للعهد مقارنة بالقانون الداخلى والأثار المترتبة على ذلك ) .

مما دعا لجنة حقوق الإنسان إلى مطالبة مصر بأن (تحدد مدى إعلانها بشأن الشريعة الإسلامية أو تسحبه )

٩- إن هذه المادة تتناقض مع الديمقراطية، فالديمقراطية - فى أبسط معانيها - هى حكم الشعب بالشعب، فالبشر هم الذين يشعرون لأنفسهم حسب ظروف الزمان والمكان، ولا يتلقون شرائع سماوية جاهزة لتطبيقها على واقع زمن يختلف عن زمن نزول أو سن الشرائع الدينية ولتطبيقها على ظروف مختلفة طبقاً لمصالحها. وهكذا تسمى الديمقراطية إلى فصل الدين - أى دين، عن نظام المجتمع السياسى، حتى يبقى هذا النظام ميداناً بشرياً بحثاً، تتصارع فيه البرامج السياسية والاقتصادية دون أن يكون لطائفة منهم الحق فى الزعم بأنها تمثل وجهة نظر الله، وبذلك تترفع بالدين وتتنزه عن تشفيله افتهازياً لخداع البسطاء من الناس، وتحرر نصوص الدين من الأفاقين والمتأجرين به لأجل مصالحهم الخاصة. فوجود مرجعية دينية فى الدستور يحجر على دعاة الدولة المدنية الحداثية حرية التعبير ويترك الساحة مفتوحة ومقصورة على دعاة الدولة الدينية، بينما العكس ممكن فى الدولة المدنية يمكن لدعاة أية أيديولوجية أن يعملوا بكامل حريتهم، ويكفى هنا أن نذكر بأن قانون تنظيم الأحزاب السياسية ينص فى مادته الرابعة المعدلة فى يونيو ٢٠٠٥ على أنه يشترط لتأسيس أو استمرار أى حزب سياسى عدم تعارض مقومات الحزب ومبادئه أو أهدافه أو أساليبه فى ممارسة نشاطه مع مبادئ الشريعة الإسلامية باعتبارها المصدر الرئيسى للتشريع. ومن هنا فلديمقراطية حقيقية فى ظل وجود المادة الثانية من الدستور المصرى ١١.

١٠- إن هذه المادة تفعل عند اللزوم، وتستخدم - تمييزياً - لأجل المصالح الخاصة عند حدوث أى لون من ألوان الصراع الفكرى أو الاختلاف فى الرأى والقول، أو عند أى شكل من أشكال الحراك الاجتماعى. وفى مجال الدين يمكننا أن نجد الحجة

ونقيضها في آن واحد، إذ أن النص الديني حمال أوجه ونصوص الدين لا تنطق بذاتها، بل تحتاج إلى من يفهمها ويطبقتها من البشر، وهنا لا بد أن يظهر الخلاف، وهو أمر طبيعى ومفهوم. ولكن عندما نحول الدين إلى قاعدة دستورية — تطبق على الجميع رغم الاختلاف الحادث — فإن الاختلاف يصبح جريمة تستحق العقوبة، وهو ما يعنى تكميم الأفواه، وإخراس الألسن، وإخماد صوت العقل، وإدراك الرأى الآخر، ويسط القهر على الضمير، فيتحوّل الأمر من منطق الحق إلى منطق القوة، لتصبح القوة حقاً مطلقاً لأنها القادرة على فرض الأمر الواقع والتنفيذ الجبرى فوجود مرجعية دينية فى الدستور يعنى بالضرورة قيام رجال الدين وفقهائه وأدعيائه بتفسير النصوص الدينية والقيام بدور الرقيب على الدولة ومؤسساتها التشريعية والتنفيذية وانتحال حق التفسير والتفقه. فاستنادا لهذا النص تستطيع المؤسسة الدينية الإسلامية سواء تمثلت فى دار الإفتاء أو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ويستطيع من يطلق عليهم رجال الدين أو الذين أدمنوا الإفتاء فى الفضائيات، أن يفرضوا وصاية على الفكر والرأى والقوانين وأن يصادروا الكتب ويخرجوا من يشاءون من حظيرة الإيمان. ونذكر أن مرشد الإخوان السابق عندما سئل عن ولاية غير المسلم على مسلم قال إن هذا الأمر سيبحثه فى الوقت المناسب أهل الحل والعقد. من هم ؟ ما هى سلطاتهم ؟ من يعينهم ؟ من يحاسبهم ؟ ماذا لو اتفقوا على فرض أمور تتناقض مع معايير حقوق الإنسان العالمية الحديثة ؟ هذا فضلا عن أن كل تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا المتعلقة بأى مقال أو كتاب أو رأى، يتم فيها استخدام هذه المادة بالإضافة إلى التلويح بها فى كل الأزمات المتلاحقة من قبيل تصريحات فاروق حسنى ومنع الخمر وغيرها. فمبادئ الشريعة يمكن أن توظف بمعرفة من شاء فيها يشاء وقت أن يشاء !!

١١- وجود هذه المادة فى الدستور يفتح الباب أمام المزايدات، فأثناء الانتخابات البرلمانية الأخيرة قال مرشد الإخوان بأن هدفهم هو تفعيل الدستور الذى ينص على الشريعة لا أكثر ولا أقل. ويرى نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين محمد حبيب أن المادة الثانية من الدستور المصرى "خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه، كما يفجر الاقتراب منه حريا أهلية فى مصر". وهذا التهديد العلنى بالمذابح وحماقات الدم يبين بوضوح إلى أى مدى يمكن أن يصل إليه دعاة الدولة الدينية من تهديد وعنف.

١٢- تسببت المادة الثانية فى صدور بعض الأحكام التى تتنافى مع المواطنة، فعلى

سبيل المثال قضت محكمة القضاء الإدارى المصرى فى القضية رقم ٣٥٧٢١ لسنة ٩٥ قضائية بإلغاء قرار لوزير الداخلية بتغيير خانة الديانة فى البطاقة الشخصية لمن يشهر إسلامه بعد أن يقوم بتوثيق ذلك فى الشهر العقارى، وقد جاء الحكم استنادا إلى المادة الثانية وخاصة أن الإسلام لا يتطلب سوى النطق بالشهادتين . وبغض النظر عن كون القرارات المشار إليها تتحدث فقط عن إشهار الإسلام وليس تغيير الدين بصفة عامة فإنه فى ضوء الحكم المذكور يكفى أن يتطوع اثنان بسماعهما أحد الأفراد ينطق بالشهادتين لكى يصبح ذلك الشخص مسلما سواء رغب فى ذلك أو لم يرغب ويكل ما يتبعه هذا التحول من تبعات. (٨)

واستنادا للمادة الثانية عند مناقشة تعديل مشروع قانون العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأرض عام ١٩٩٢ بهدف إعطاء المالك الحق فى فسخ عقد الإيجار وطرد المستأجر من الأرض حتى لو كان المستأجر ملتزما بجميع بنود العقد ويسد الإيجار المنصوص عليه والزيادة المقررة دوريا فى مواعيدها . فقد لجأت الحكومة لتمرير تعديلها إلى طلب فتوى تجيز الفسخ والطرد، ووفر لها مفتى الديار المصرية هذه الفتوى . واعترض وقتها خالد محيى الدين على إقحام الدين فى قضية سياسية اجتماعية، وفرض رقابة ممن يسمونهم رجال الدين على حق مجلس الشعب فى التشريع، خاصة أن هناك تفسيرات وتاويلات مختلفة للنصوص الدينية، وأحكام الشريعة قابلة للتطور والتغيير على ضوء الاجتهادات المختلفة وتطور الواقع والفكر الإنسانى (٩) كما استخدمت نفس المادة فى الحكم بالتفريق بين المفكر الإسلامى نصر حامد أبو زيد وزوجته رغم أنفهما لمجرد أنه تطوع بالاجتهاد فى مسائل من نوع أن للمرأة الحق الشرعى فى الحصول على نصيب من الميراث مساو للرجل .

وكذلك قضت الدائرة الأولى بمحكمة القضاء الإدارى بتاريخ ٢٠٠٥/١١/٨ برفض الدعوى القضائية رقم ٣٢٥٣ ضد رفع شعار الإسلام هو الحل أثناء الحملة الانتخابية لمجلس الشعب، وجاء فى حيثيات الحكم إن هذا الشعار لا يدعو إلى إثارة الفتنة الطائفية، فالمادة الثانية من الدستور تنص على أن دين الدولة هو الإسلام ومبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع . هذا على الرغم من القول بأن المادة الثانية موجهة للمشرع وليس للقاضى !!!

كذلك توجد أحكام قضائية عند تغيير الدين، والقاعدة هى أنه يمكن للمسيحى أو من ينتمى لأى معتقد أن يتحول للإسلام ولكن لا يمكن للمسلم أن يتحول للمسيحية





(أو لأى دين آخر). ورغم عدم وجود نص قانونى يجرم تحول المسلم إلى دين آخر فإن التهمة تكون ازدراء الأديان. وقد ألغيت وصاية أب مسيحي على ولديه عندما أسلمت الأم لأنه حسب قول محكمة الإسكندرية الابتدائية (القضية ٤٦٢ لسنة ١٩٥٨) أنه "يتعين أن يتبع الأولاد الدين الأصلى، والإسلام هو أصلى الأديان".

وقضية رافت نجيب صليب الذى كان قد أشهر إسلامه فى عام ١٩٩٨ ثم عاد للمسيحية بموجب إقرار صادر من بطريركية الأقباط الأرثوذكس مصدق عليه من مديرية الأمن، ولكن مصلحة الأحوال المدنية رفضت استخراج بطاقة الرقم القومى له بالبيانات المسيحية، وحين لجأ للقضاء الإدارى قضت المحكمة برفض الدعوى شكلاً وموضوعاً، واستند الحكم فى حيثياته على المادة الثانية فى الدستور وجاء به " .. إن النصوص التى تنص على حرية العقيدة ومساواة المواطنين يجب أن تفسر فى حدود ما يسمح به الإسلام باعتباره دين الدولة الرئيسى وأساس قيامها"، وتواصل المحكمة سرد حيثياتها فتقول " .. فالدولة تخضع لأحكام وقواعد الدين الإسلامى ويتعين على كل أفراد الدولة مسلمون ومسيحيون الالتزام بهذه القواعد والخضوع لها ... الخ".

قضية أمير شوقى عبد السيد الذى ولد وعاش مسيحياً، ولكن مصلحة الأحوال المدنية رفضت استخراج بطاقة الرقم القومى ببيانات مسيحية لأن والد الطالب كان قد أشهر إسلامه حين كان عمره عامين، وبالتالي يكون الطالب مسلماً بالتبعية، وحين لجأ للقضاء الإدارى قضت المحكمة أنه مسلم واستندت إلى فتوى صادرة من دار الإفتاء يقول نصها: "الولد يتبع أحد أبويه فى الإسلام باعتباره خير الديانات ..."

ومن الملاحظ إنه فى حال ذكر الحريات الدينية فى دساتير العالم العربى فهى فى معظم الحالات تمنى حرية العبادة أو حرية ممارسة الشعائر وغالباً ما تكون محددة بمقابلة طبقاً للقانون وليس حرية الاعتقاد التى تمنى حرية التغيير أو حرية عدم الاعتقاد.

وعندما نتحدث عن حرية الدعوة الدينية فمن المعروف إنه يحظر على المسيحيين الدعاية لدينهم باعتباره تبشيراً، كما يعاقب من يتحول إلى المسيحية بالسجن بتهمة ازدراء الدين الإسلامى !! هذا فضلاً عن عدم وجود تشريع يجرم التمييز الدينى، وهو أمر وإن كان يشترك مع أنواع التمييز الأخرى كالتمييز ضد المرأة، إلا أنه أخطر على النسيج الوطنى من بقية أنواع التمييز.

## وختاماً ..

إننا عندما ندرس دساتير العالم من حولنا نخلص إلى أنه لا توجد في عالم اليوم دولة متقدمة ومتحضرة وراقية يستند دستورها إلى شريعة دينية أيا كانت، لأنه في كافة الدول الديمقراطية الحقيقية ومنذ أكثر من قرن ونصف لم يعد هناك ذكر للدين في دساتير الدول، إذ لا يمكن اعتبار الدين مقياساً للولاء والإخلاص والمواطنة الحقيقية، وبالتالي يكون وضع مصر مع بقاء هذه المادة شاذاً لا يقابل باحترام في الدول الديمقراطية الأوربية والإسلامية منها التي تخلو دساتيرها من هذه المادة.

والبديل للدولة الدينية ليس الدولة المادية للدين مثل النظم الشيوعية بل الدولة المدنية أي الدولة الحديثة التي تحفظ للدين مكانه في القلوب إيماناً وتعبداً وفي الضمائر والأخلاقيات عملاً وفي المجتمع دوراً يليق به بدون فتح الباب لاستغلاله . إذا نظرنا إلى حركة التاريخ وجدنا الدين فصل عن الدولة عن طريق فصل الكنيسة عن الدولة في البلاد المسيحية . ولا يعنى فصل الكنيسة عن الدولة في البلاد الغربية وغيرها من البلاد المماثلة أنها اقتلعت الدين فالحرية الدينية مكفولة فيها، ولا تزال للمسيحية دور كبير فيها بل أن للمملكة المتحدة كنيستها الرسمية على عكس معظم البلاد الغربية، ولكنها تكفل الحرية الدينية لجميع مواطنيها الذين جاء بعضهم من أصول إسلامية وهندوكية وبوذية وسّخية.

ولم تحقق البلاد الغربية نهضتها وتقدمها في جميع المجالات إلا بعد أن فصلت الكنيسة عن الدولة . ولم تتعمق جذور الديمقراطية فيها إلا بعد أن تخلصت من تسلط الدين على الدولة، ولم تصل إلى ما وصلت إليه من رقى حضارى واستقرار اجتماعى وإزدهار اقتصادى إلا بعد أن فصلت الدين عن الدولة . وما هو جدير بالذكر أن الهند التي حصلت على استقلالها بعد منصر تمسكت منذ استقلالها بالديموقراطية وفصلت بين الدين والدولة وحققت إزدهاراً اقتصادياً يجعلها في مصاف الدول الكبرى، والفرق شاسع بينها وبين باكستان وكانا في الأصل بلدأ واحداً، والسبب أن باكستان لم تفصل بين الدين والدولة .

إن وجود المادة الثانية بصيغتها الحالية في الدستور المصرى يؤكد أن مصر تفرض ديانة الأغلبية ديناً للدولة في ظل وجود المسيحيين وهم أقلية دينية كبيرة بين مواطنيها الأصلاء . ووجود هذه المادة في الدستور يؤكد - مع الأسف - أن مصر هي

الدولة الوحيدة فى العالم ( لايشاركها أحد ) التى تفرض الشريعة الدينية للأغلبية  
كالمصدر الرئيسى للتشريع » .

إن علينا أن نجيب بصراحة وبشفافية ويصدق مع أنفسنا على هذا السؤال: هل  
مصر دولة مدنية علمانية ... أم أنها دولة دينية ؟ الدستور المصرى قارة يقول إنها دولة  
دينية وقارة أخرى يؤكد أنها دولة مدنية وعلمانية. ولعل هذا هو السبب الرئيسى لتلك  
التبليبة ولذلك التيه والتخبط الفكرى الذى نعانى منه اليوم . ياترى ما هى  
الاصلاحات الدستورية التى نريدها بالضبط .. هل هى الاصلاحات التى تؤكد على  
مدنية الدولة وحقوق المواطنة وحرية العقيدة وسيادة القانون ؟ أم إننا نريد إصلاحات  
دستورية تؤكد على دينية الدولة المصرية ؟ .. إن الإجابة على هذا السؤال الهام  
والخطير هى التى ستحدد لنا الصورة التى ستكون عليها مصر المستقبل .  
وكحل وسط قد يساعد على تجنب السلبيات التى تمثلها هذه المادة، نقترح تعديل  
المادة الثانية ويحيث يشتمل التعديل على هذه الأفكار :-

#### ● العربية لغة الدولة الرسمية.

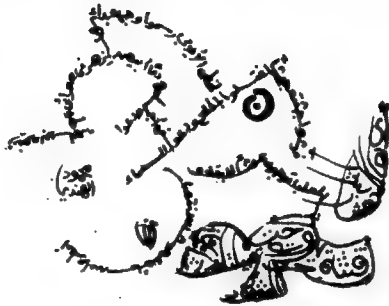
●الإسلام ديانة غالبية المواطنين والمبادئ العامة للشريعة الإسلامية مصدر من المصادر  
الرئيسية للتشريع، بما لا يتناقض مع التزامات مصر طبقاً لمواثيق حقوق الإنسان  
الدولية أو يخل بحقوق مواطنة غير المسلمين وتستلهم الشرائع السماوية الأخرى  
كأحد مصادر التشريع .

●التمتع بكل الحقوق والحريات المدنية لا يتوقف على المعتقدات الدينية للفرد .

●مبادئ الشريعة الإسلامية المشار إليها هى كذا وكذا ( لا بد من تحديدها بدقة  
ووضوح )

● ترمى الدولة القيم العليا للأديان والحضارات والثقافات الإنسانية، لذا فإن كافة  
أجهزة الدولة تلتزم بالحياد إزاء الأديان والمعتقدات.

وإذا لم يتم التأكيد على مدنية الدولة بصراحة ووضوح ستكون مصر معرضة لمخاطر  
طائفية، وسيدهج الجميع ثمناً باهظاً، وسنظل جميعاً نتخبط داخل النفق المظلم »



### هوامش

- ١- أمين سليمان أبو المجد، قراءة في فكر مسلمين مستنيرين مقال، - [www.coptd-united.com](http://www.coptd-united.com) ١٥/١/٢٠٠٤
- ٢- موسوعة السياسات والدين، يرأس تحريرها روبرت ووثنو
- ٣- عادل جندى، الحرية في الأسر، دار ميريت القاهرة ٢٠٠٦، ص ٣٨٨
- ٤- بهى الدين حسن، ليس الإخوان بل الأقباط هم ضحية التعديلات الدستورية، مقال، جريدة نهضة مصر، ٢٩/١/٢٠٠٦
- ٥- الحرية في الأسر، مرجع سابق، ص ٣٩٢ - ٣٩٤
- ٦- د. إبراهيم شحاته، وصيتى لبلادى النص الكامل ط٢، مكتبة الأسرة ٢٠٠١، ص ٢٨١
- ٧- بهى الدين الدين حسن، ليس الإخوان بل الأقباط هم ضحية التعديلات الدستورية، مقال، جريدة نهضة مصر ٢٩/١/٢٠٠٦
- ٨- الحرية في الأسر، مرجع سابق، ٣٩٠
- ٩- حسين عبد الرازق، الأقباط والمادة الثانية، مقال، جريدة الأهالى ٢٤/١/٢٠٠٧

## حادثة سيزيف

د. شيرين أبو النجا

حرية الرأي والتعبير قضية قديمة جديدة كل الجدة. لا يمر أسبوع واحد الآن إلا ونجد انفسنا متورطين حتى الثمالة في نفس القصة. نمطية التكرار تبدو كأنها إحدى سمات العصر.

مشهد أول، نقطة بداية الزويعة لا تختلف مطلقاً. قصيدة مسيئة للذات الإلهية مدونة بها أفكار تنسج للإسلام، رواية تحوى مشاهد جنسية لوحة لامرأة عارية، تصريحات في جريدة، بحث علمي... لا فرق، كلها وسائل تحمل رأياً مخالفاً لما هو سائد. عندما تبدأ الزويعة التي تتحول إلى عاصفة توظفها الصحف ووسائل الإعلام بقدر لا بأس به (وهو أمر منطقي، فكيف يمكن ملء كل صفحات الدفت وساعات الإرسال بأحداث مشوقة سوى استخدام قضايا حرية الرأي؟) وكما أن الزويعة لا تختلف، تأتي أفعالنا مكررة ونمطية تماماً. نعيد كل ما فعلناه من قبل (المدحش أننا نفعله وكأننا نخوض الأمر لأول مرة)، مؤتمرات تضامنية، بيانات احتجاجية، حملة توقيعات، تصريحات تؤكد أننا نحترم الإسلام، وتصريحات أخرى، تفصل دور الخيال في الفن والأدب، ثم نبدا في تلاوة البنود التي أوردها الدستور والتي جاءت بنا المعاهدات الدولية (التي وقعت عليها الحكومة لارتداء ثوب الحداثة الذي يهترئ

بمجرد طرح قضية حرية الرأي والتعبير). مادة رقم واحد: عبر عن رأيك لأنك إنسان، مادة رقم ٢: قل ولا تخف فالدولة مدنية، مادة رقم ٣: فكر وفكر لتبنى المجتمع، مادة رقم ٤: لن يفتالوك، مادة رقم ٥: لن يمسوك، مادة رقم ٦: هل صدقت أنك تملك حريتك؟ إذا جاءت إجابتك بنعم فعليك أن تستمر في مراكمة المواد في أحد أركان خشبة المسرح ثم انشر حولها بعض المصطلحات النمطية ويفضل «الجماعات الظلامية، ومحاكم التفتيش، أخفض الإضاءة ليتسنى تغيير ديكور المشهد».

مشهد ثان: نحن الآن في قاعة المحكمة، كل طرف قد أتى بأنصاره ومريديه. نظرات نارية أو لا مبالية، محامون شباب، محامون حقوق الإنسان، ميكروفون كاميرا فضائية شهيرة يتنقل بين الأفواه، مذكرات، طلب تأجيل للإطلاع.. ثم اللحظة الحاسمة. مرافعة قوية تجلجل في أركان المحكمة (في هذه الأثناء تحاول امرأة لم يرحمها الزمن أن تصل لزوجها الواقف خلف القضبان لتناوله سندوتش طعمية، وهي تدعو على كل فرد في المحكمة!) يجلجل صوت المحامي ليحكى نفس القصة الأزلية. قصة وكيل النيابة الذي أجرى التحقيق مع طه حسين، ثم يؤكد على عظمة ونزاهة تلك العصور الغابرة، ويطلب من القاضي احتذاء نفس النموذج. دائماً ما نعود إلى الخلف كل تلك العقود لنحصل على قدر من الشرعية. لا بد أن نقسم أن كل الأشياء والأحداث قد وقعت بالفعل في الماضي، وأننا لا نبتدع بل نتبع، أننا لم نأت بجديد بل نحن القديم نفسه. نخرج من المحكمة شاعرين بزهوة الانتصار وكأننا نسمع هذه المرافعة لأول مرة.

مشهد ثالث: قصاصات صحف ومقالات يجمعها «المتهم» ليتعمق في قراءتها. كلها تتراوح ما بين التحريض والتشويه والتضامن والتسفيه والتعظيم والتسخيف. اللحظة يتساءل «المتهم» أيهم يصدق؟ تتحول حياته إلى جحيم يموج بمكالمات تليفونية من صحفيين وأصدقاء يهريون وأصدقاء يتعلمون المشي على الحبل وأصدقاء يوجدون مبررات للسلطة فيبدو الواحد منهم وكأنه هالة النور والحكمة تحيط برأسه وملائكة صغيرة ترهف بأجنحتها حوله.

مشهد رابع: تتراجع القضية بأكملها إلى خلفية المسرح وهجأة ثور الزويدة من جديد وتبدأ عادة حرفية للثلاث مشاهد السابقة والجمهور يتفاعل معها كأنه يشاهدها لأول مرة.



بعد فترة تكتسب كل الأطراف خبرة هائلة في كيفية دحض أو توظيف التصنيفات الجاهزة، هؤلاء المارقون الذين مارسوا حق التعبير هم زنادقة أو مولين من جهات مشبوهة أو ساعين لتشويه سمعة مصر أو محبين للشهرة أو انحرفوا فكرياً بتأثير العلمانية الغربية. تبدأ التصنيفات صغيرة وتتدرج من صحيفة لأخرى ومن فضائية لأخرى فتكبر وتكبر مثل كرة الثلج. أنتم الجماعات الظلامية، بل أنتم الكافرين بشرع الله، أنتم الإرهاب، بل أنتم الفجر، أنتم عقول منغلقة، بل أنتم قلوبكم غلف. سيزيف نفسه كان سيشعر بالملل، فعندما كان يصعد ويهبط الجبل كان يعلم أنه عقاب زيوس له لإفشاء السر، أما نحن فلماذا لا نشعر بالملل؟



في أي التصنيفات الجاهزة تلك يذكر اسمي؟ للأسف، ولا واحدة، فأنا لست سوى مخلب قط، هكذا أسمتني مذكرة المدعى في القضية المرفوعة ضد المناضلة شاهدة مقلد والناشر محمد هاشم وأنا، مذكرة تطالب بتطبيق المادة ٣٠٨ وهي الحبس والغرامة عقاباً لنا على اشتراكنا في كتاب «من أوراق شاهدة مقلد، (صادر عن دار ميريت للنشر عام ٢٠٠٦).

أنا، مخلب قط، وظفتني شاهدة مقلد لخدمة أغراضها الخبيثة، في النيل من سمعة أشخاص رحلوا عن الحياة منذ زمن. أنا، مخلب قط، كنت أشم رائحة دمي يحترق من هذه الجملة، أو بالأحرى شبه الجملة التي وردت في مذكرة تفوق العشرين صفحة والمليئة بالسب والقذف



أربعة أعوام أو ما يزيد قليلاً قضيتها في ترتيب وقراءة أوراق شاهدة قصاصات صحف أصفر لونها مع الزمن، حقايب مليئة بالصور والخطابات، حتى مستمر، مذكرات قانونية، أحكام قضائية.. تفاصيل مهولة بدأت وانتهدت قبل أن يحظى العالم بشرف

مجيئاً له. فقد أُغتيل صلاح حسين زوج شامدة مقلد في ٣٠ أبريل عام ١٩٦٦، وولدت أنا في ٢٥ يوليو ٦٦.

بعد أن كبرت كثيراً أو قليلاً أدركت أنني لا أملك سوى إمكانية القراءة والكتابة. فكان أن آمنت بحق السؤال والاكتشاف، وأردت كتابة قصة امرأة صنعت جزءاً مهماً من تاريخ مصر الحديث. صدقت كل من نادى بحق المعرفة، صدقت أنني أكاديمية وصدقت أن المؤسسة تعترف بحق البحث العلمي وحق إعادة كتابة وقراءة التاريخ، صدقت كلاماً براهناً عن إنتاج المعرفة، صدقت كل من قال أن من لا يعرف تاريخه لا يمكن أن يعرف جغرافيته. صدقت مشروعية طرح سؤالين: من الذي يكتب التاريخ وكيف نفهم التاريخ.

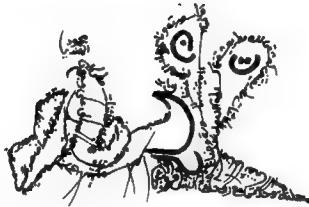


فهمت التاريخ في المحكمة (المكان الملائم لفهم ما استعصى فهمه). في المحكمة - التي بدأت أولى جلساتها ٨ يناير ٢٠٠٧ أدركت الرؤى التي تجعل التاريخ يحدث في عقول البشر وليس في الواقع. فهمت في المحكمة أن ثلاثتنا ماركسيين وشيوعيين، ولكنني لم أفهم العلاقة بين هذا التوصيف وبين وقائع تاريخية حدثت بالفعل. فهمت في المحكمة كيف تهدر الطاقة وكيف يهدر الوقت والجهد لتعيد اختراع العجلة حرية الرأي والتعبير هي بالنسبة لي فعلياً إعادة اختراع للعجلة.



منذ عدة أيام دعتنى قناة الأوربت مع الدكتور عاطف العراقي لمناقشة تكريم ملكة بريطانيا للكاتب الهندي سلمان رشدي. وأرادني مقدم البرنامج أن أدلى برأى في شكل أبيض أو أسود، إما أنا مع الحرية المطلقة في الإبداع، أو أنا ضدها، أرادني أن أكون الطبعة النسائية من بوش، إما معهم أو ضدهم. ولما كنت ضد تلك المنظومة التقابلية الحادة التي لا تعنى لي في الحالتين - سوى الجمود والانغلاق فقد أعلنت رأيي صراحة وهو أنني لست مهمته مطلقاً بهذا التكريم، بل أنا مهمته بتصريح وزير خارجية بريطانيا رداً على ما حدث من احتجاجات عنيفة في العالم الإسلامي. فقد قال: «بالطبع علينا أن نتحلى بالكياسة، ولكننا نرى أن حرية الرأي والتعبير في السياسة والأدب والنقاش مهمة لمجتمعنا على المدى البعيد. وعلينا أن نتحمل رأي





الأخرفيما نفعله.. بكل ما يحويه هذا التصريح من دلالات تعبر عن رؤية بعيدة المدى  
فى تقوية أركان مجتمع يصبح قادراً على الوقوف أمام الآراء المخالفة والمغايرة دون أن  
ينزلق فى فخ محاولة تقليد سيزيف يقع اهتمامى بقضية حرية الرأى والتعبير.

• • •

اختلف كثيراً مع الآراء التى ترسخ طرفى الصراع بوصفهما الدين والإبداع فالصراع  
كما أراه - أياً كانت أطرافه - ليس سوى صراع على السلطة، ومن له الكلمة الأخيرة  
تزداد قوة سلطته. هو صراع على الكلمة، على القول، على الرأى. من يتكلم يملك. وفى  
البدء كانت الكلمة.. الكلمة التى تغير أفكار وتنتج وتعيد إنتاج أفكار. الكلمة التى تفتح  
أبواباً رحبة للروح وتفسح أمكنة للعقل، والكلمة التى تخنق الروح وتسجن العقل.  
الكلمة.. السلطة والقوة. أين الدين من ذلك، وأين الإبداع؟ هو صراع تخفى فى ثوبى  
الدين تارة والإبداع تارة، وكلاهما برئ. الدين والإبداع ليسا سوى أدوات لإدارة الصراع  
وهى أدوات ملائمة للعصر بامتياز، العصر الذى تحاول فيه المؤسسة التحيز لصاحب  
الصوت الأعلى والمزايدة على قوة الإيمان.

أما أن الأوان أن نصنع حكايتنا دون أن نقلد سيزيف؟ ألا نملك الحكاية بأكملها؟..

• • •

## أخرق إجماعكم

أحمد الشهاوى

إن جهل أعضاء مجمع البحوث الإسلامية الذين قرروا - بالإجماع - برئاسة شيخ الأزهر مصادرة كتابي - بالأدب وتراث العشق العربي، وما جاء في كتب الفقهاء والأئمة والعلماء، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن العشق، دفعهم إلى تحريم الحلال، واتهامي بالكفر الصريح، والخروج على الإسلام.

إن أول ما حث به الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم كان القراءة وأنا أعجب لهؤلاء الأعضاء يتقدمهم شيخ الأزهر وهم يفتون في أمر كتابي دون أن يقرءوه، أو حتى يعرفوا إن كان شعراً أو نثراً، فهم يسمونه ديواناً، ويسقطون الألف واللام من الوصايا، فيصير العنوان «وصايا في عشق النساء»، وكل هذه الأخطاء لأن واحداً فقط هو الذي قرأ. والمدعش أن الأعضاء إذا سألتهم في الطب أو النثرة أو الشعر، أو الكيمياء أو الفيزياء، أو التكنولوجيا أو أى علم يجيبون. وفتواهم لا تهمنى لأنه كما هو معروف - الفتوى حكم غير ملزم، بينما القضاء حكمه ملزم.

وهل من العيب أن يصدر أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بياناً يعتذرون فيه للأمة الإسلامية عما جاء في فتواهم ويقرون بأنهم لم يقرءوا الكتاب، وإنما وقعوا فقط على التقرير الذي كتبه أحد الأعضاء (د. عبد الرحمن العدوى) كأنه العارف بالله، الخبير

بشئون الشعر والنثر، لماذا لا يتأسون بالإمام مالك الذي كان إذا سئل في أربعين مسألة فقهية أجاب عن أربعة فقط قائلاً: لا أعلم أو لا أدري.

ومن ذا الذي أعطى الحق لكل أستاذ جامعي في الأزهر أن يفتي في آية مسألة؟ لا يعتبر توقيع أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بمثابة شهادة الزور؟ ومن يشهد زوراً فهو آثم، إنهم شهدوا على شيء لم يروه. اليس ما حدث هو غش، ومن غشنا فليس منا؟

فهي مصر تصدر الفتوى طبقاً للمذاهب الأكثر يسراً كالشافعي والحنفي والمالكي ومع ذلك نرى شيخ الأزهر والذين معه من الأعضاء متشددين متعصبين، يفتون على طريقة الجماعات الإسلامية المتشددة المتطرفة التي لا ترى في هذه الدنيا إلا كُفراً.

كان ينبغي أن يجتمع أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بعد قراءة تهم للكتاب، ثم عقب ذلك يتداولون أمر كتابي وأمرى، كما هو معمول به في كل مجامع الدنيا لأن العلماء والفقهاء لا يجمعون، بل يبحثون ويختلفون، ففي اختلافهم رحمة بالمسلمين لكن مسألة أن يناب عضو عن بقية الأعضاء، ثم يحدث الإجماع، ثم إصدار بيان أو فتوى، مسألة لم نعرفها في الإسلام ولم نرها في أي من عصوره وأطلب الهداية لهم جميعاً، وتغيير نظام مجملهم المعمول به.

إن ما حدث مع كتابي «الوصايا في عشق النساء» هو سفاسف اعتبرها جهلاً بالفقه الإسلامي. لست ابتراً من فعل اعتذر عنه، فمثلي لا يعتذر عن شيء كتبه ونشره، ولن أصور نفسي ضحية جنى عليها أعضاء مجمع البحوث الذين يسمون أنفسهم «العلماء» وهم يحكمون بالجهل والزور دون قراءة، ولكني أقول إن ما حدث هو عدوان على الله ورسوله وعلى تاريخ الثقافة العربية، وتراثها قبل أن يكون عدواناً على، فلم نر تحليلاً نقدياً لكتابي ولكن رأينا إنشاء وحماسة لاتبيين عن فكر ومحاججة، وفتوى الأزهر الخالية من جدل واختلاف ونقاش وتداول رأي هي فتوى صادرة عن عقل بشري يخطئ ويصيب وليست مقدسة أو منزلة أو إلهية أو أن صاحبها يوحى إليه، بل إن الأزهرة دائماً وأبداً يضيفون القداسة على أنفسهم، باعتبارهم ظل الله في الأرض، لماذا لا يكرسون وقتهم لدراسة كيف تعامل الأسلاف مع العشق، وكيف تأثروا بالقرآن والحديث في كتاباتهم الشعرية والنثرية، بدلاً عن خطبة الوعظ الرثة التي أصدروها في مقابل غياب الخطاب الديني الفكري العميق. كان ينبغي لهم أن يقتلوا القديم بحثاً قبل أن يصدرُوا حكمهم على بقتلي وقتل كتابي (أنظر تصريحات إبراهيم الفيومي، شوقي

الفتنجرى، العدوى، المظعنى، عيد الصبور مرزوق، وآخرين كثر).

إن فكرة كتابى الوصايا التى حرمت وكفرت وحوريت ستصير مع الزمن جنساً أدبياً، فالوصية جنس أدبى مهمل فى تراثنا، أردت إعادة خلقه بالكتابة.

فتوى الأزهر، هى حجر على عقول الأمة، تلك العقول التى تميز وتعرف الصحيح من الخبيث، ولا تحتاج إلى سلطة كهنوتية تفكر لها، فالعامة دائماً ما تردد «ربنا عرفوه بالعقل»، وعقل أعضاء المجمع ليس أحسن من عقول المسلمين جميعاً، وكذلك إسلامهم ليس أصبلح وأعمق من إسلامهم وإسلامى.

إننى أخرق إجماعكم، لأتواصل مع القرآن والحديث، وأتلاقى مع ما أبدعه الأسلاف، وأؤسس لنص جديد جوهره روحى وعماده إيمانى وثقافتى التى تدين للتراث العربى الإسلامى بالكثير. وأبرئ الإسلام من تخلف وتراجع وجمود الذين أجمعوا وأصدروا الفتوى بشأن «الوصايا فى عشق النساء»، أو أى كتاب إبداعى آخر، يحتاج فى قراءته إلى عين تفسر وتؤول وترى من خلال ثقافة عميقة ورؤى منهجية. إن كلمة الله ورسوله تتجلى فى نصى الذى صار على أيدي حفنة من الأزهر مدنساً.

رأيت بشراً يفتون فى امرى كان كل واحد منهم يقول: «إنى أعلم ما لا تعلمون». إن أغلب الفتاوى التى صدرت فى حق الشعراء والعلماء والأئمة والمتصوفة على مدار التاريخ باطلة ومغرضة ومجحفة وجاهلة، وظللنا نبكى على مقتل هؤلاء وندرس نتائجهم ونضمهم الآن فى الصفوف الأولى من تراثنا كالحلاج والسهوروى على سبيل المثال.

لم استبعد لحظة واحدة أن هذه الفتوى جاءت متسرلة بثياب الدين فى خدمة السياسة، فأعضاء مجمع البحوث الإسلامية أغلبهم يتعاطف أو يتشارك أو يندرج فى جماعة الإخوان المسلمين التى أثار واحد منها نائب عن الإخوان المسلمين فى البرلمان المصرى، قضية «الوصايا فى عشق النساء».

أى أن الأزهر حقق غرضاً سياسياً دنيوياً لجماعة الإخوان المسلمين على حساب الدين، وعلى حساب شاعر مسلم، أتهم على أيدي الأزاهرة بالكفر والروق والخروج على الشريعة إلى آخر عريضة الاتهام وهى - للأسف - كثيرة ومتنوعة، إلى درجة طلب معاقبتى عقاب المفسدين فى الأرض كما قال د. عبد الرحمن العدوى. أى أن الأزاهرة يكشرون مسلماً، لأجل مصلحة نفعية زائلة، وغرض سياسى واضح، ونصر زائف مؤقت

على الحكومة المصرية التي «تصرف المال العام فيما لا يفيد وينفع إشارة إلى إصدار كتابي في إطار مشروع مكتبة الأسرة.

إن هذا نموذج عصري صارخ لتوظيف الدين سياسياً كأننى أعيش فى العصرين الأموى والعباسى، حيث كان الدين مطية تمتطى فى النهار الواحد آلاف المرات.

الآن يتحالف «حزب» سياسى باسم الدين هو «الإخوان المسلمون» مع مؤسسة دينية رسمية هى «الأزهر» لمصادرة كتاب، وتكفير شاعر، وإهدار دمه باسم «حماية العقيدة من كل دخيل وتنقيتها من كل شائبة تحاول تلويث الفكر الإسلامى، إبراهيم الفيومى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية (صوت الأزهر - ١٤ من نوفمبر ٢٠١٣) الذى اعتبر أن كتابي «الوصايا فى عشق النساء» يكاد يكون كفراً صريحاً، ودعوة فادحة للفحش والتجرد من الحياء ومن ثم يمنع من التداول، لأنه يفتح باباً من الفسق والفجور أمام الشباب المحروم والعاجز عن تكوين أسرة.

إن الفيومى وغيره يشير إلى تحكم تيار التقليد فى أروقة الأزهر، لجانه ومجالسه ومجامعه وجامعته، ذلك الأزهر العظيم الذى يفقد دوره تدريجياً على أيدي هؤلاء الموظفين، موظفى الدين لخدمة أية طائفة أو تيار، باعتبارهم يملكون الحقيقة الدينية المطلقة، ولا ينبغى لأحد مثلى مخالفتهم أو مجادلتهم بالتى هى أحسن، لقد جادلت اثنين منهم هما عبد الصبور مرزوق وعبد العظيم الطعنى، ولم أر منهما علماً سوى فقه السباب، وشريعة الشتيمة، وكان ذلك فى مناظرتين إذاعية وتليفزيونية فى BBC وقناة النيل الثقافية.

إن ما يشاع عن أن خطاب أعضاء مجمع البحوث الإسلامية الدينى هو خطاب معتدل، محض وهم شائعة، لقد رأيت فى المحصلة النهائية أن خطاب بعض الأزاهرة موافق لخطاب الجماعات المتطرفة لدرجة التماثل.

فالأزاهرة يريدون احتكار الحقيقة الدينية المطلقة، لأنهم السلطة القاطعة، وكذا التيار الدينى المتشدد.

أعرف أن من له حق الفتوى فى حق المسلم أو الأمة الإسلامية ينبغى أن يكون عالماً مجتهداً يدرك النص والحال معاً، كى يبين حكم الشرع فيمن أو فيما يحكم عليه. والفتوى (أو قل إبداء الراى) فى حق النص (الوصايا فى عشق النساء) دون إدراك من الإجماع، لأنها صدرت بلا قراءة، وغاب التداول والتحصيص والتدقيق والخلاف، وفى

حق المسلم (أحمد الشهاوى) دون أن يعرف حاله أو الاستماع إليه ومحاجمته. فشيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوى يدعى أنه يتم الاستماع لراى الأديب - مجلة المصور ٢٠ من نوفمبر ٢٠٠٣ ميلادية، وتداول الأمر بين أعضاء مجمع البحوث الإسلامية.

ويضهم من كلامه المنشور فى «المصور» أنه تم الاستماتع إلى راىى، وكذا أنهم قرءوا وتجادلوا وتبادلوا الراى ثم صدرت الفتوى بالمصادرة، وأن الكتاب مخالف للشريعة، وخارج على الإسلام لأنه مسئ له ومن ثم كاتبه. وكل هذا محض ادعاء كاذب، ولا أدرى لماذا يكذبون على الله وعلى أنفسهم وعلى الأمة؟ فهل هم بذلك يبينون للناس أنهم يحكمون بالشرع وأن الأمر كان شورى بينهم، وأنهم يفعلون مثلاً كان يفعل السلف الصالح؟

على أية حال لم أعتد فى حياتى أن أرى على أحد أساء إلى، ولكن الأمر الأزهرى ضدى صار فادحاً وفاضحاً، فأردت أن أعلم الجميع أن الإجراءات التى تمت مع «الوصايا فى عشق النساء» باطلة، وأن الفتوى صدرت بالإجماع عن جهل بالكتاب وشاعره، وأن ما قاله شيخ الأزهر فى «المصور» مناهز للحقيقة، وهو رأس اجتماع المجمع ووقع على فتوى المصادرة دون أن يستمع إلى الأديب - الذى هو أنا - أو يقرأ الكتاب. ولأن هناك قضاء يمكن اللجوء إليه فى مثل هذه الحال، ليعرف المرء المقاصد والأهداف من وراء هذه الفتوى، وهل هى سياسية أم دينية، ولماذا لم تلتزم التقاليد الإسلامية والعلمية المتعارف عليها فى الدين، أو فى أى نظام له قواعد وأصول، وهل هكذا يتعامل الأزهر - أكبر مؤسسة دينية فى العالم الإسلامى - مع شئون المسلم والأمة الإسلامية فهل هذه الفتوى حققت مراد الله من شرعه؟

ولأنها غير مطابقة لواقع الحال، فلماذا لا يخرج شيخ الأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية ويقولون جميعاً بالخفى، وليس عيباً أن يقولوا أخطأنا، لأننا لم نراع فى اجتماعنا تصوير المشكلة موضوع الفتوى وتكييف موضوعها وبيان الحكم فيها، ففى الاختلاف تنوع لا تناقض، وكان الأسلاف من الفقهاء والأئمة يختلفون فى حجم الظن «حيث لا إجماع ولا اتفاق بين الناس» بينما نرى فى أزهر مشايخ عام ١٤٢٤ هجرية إجماعاً بالمصادرة والتكفير على كتاب لم يقرءه وشاعر لم يستمعوا إليه، كان العلماء، لم يقرءوا تراجمهم الإسلامى، ولم يعرفوا الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وماذا كتب الأوائل، أو ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى المحبة.

يقول مفتى مصر د. على جمعة وهو واحد من الذين وقعوا على فتوى مصادرة



«الوصايا في عشق النساء، دونما أن يراه أو يقرأه؛ الفتوى من غير المتخصصين تضرب الأمن الاجتماعي في مقتل ولو كان المتكلم عالماً يؤلف عشرات الكتب، لأن الفتوى عاوزه واحد يتفاعل مع القضايا المعقدة وهذه مهمة ليست سهلة، - مجلة آخر ساعة ١٢ من نوفمبر ٢٠٠٣، فأين هم الشعراء والنقاد والأدباء العارفون بشئون الكتابة والنقد والإبداع المتخصصون في مجمع البحوث الإسلامية، كي يفتوا في أمر كتابي وأمرئ. ألم يكن كتابي يحتاج إلى متخصصين من أهل الأدب لأن المجمع لا يضم بين أعضائه أدبياً أو شاعراً أو ناقداً أو كاتباً، فهم من وجهة نظر الأزهرة ملاحدة وكفرة علمانيون لا يفقهون سوى المجازات والأخيلة، ويتمهم الفاوون».

إن الدين الإسلامي العظيم دستوره «لكم دينكم ولي دين»، وشعاره «من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ومبدؤه «لا إكراه في الدين، وزيته «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»، لا يمكن أن يتعامل «علماء» مع شاعر مسلم بهذه الطريقة التي ينكرها الشرع، وتأباه العقيدة، فالإسلام تتعدد مرجعياته، وليس «علماء» الأزهر هم المرجعية الوحيدة للإسلام، حتى ولو كان ذلك بقرار من الدولة المصرية.

إن ما حدث معي يشوه صورة الإسلام في العالمين العربي والإسلامي وكذا في الغرب، خصوصاً أنه أثر من الأزهر، في الوقت الذي نحتاج فيه إلى تحسين صورة الإسلام والمسلمين في العالم، بعد اتهام المسلمين بالتطرف والإرهاب والتعصب والتشدد، ووصف الإسلام من لدن أعدائه بالجمود والتخلف. وهذا الفعل يعطى مبرراً للآخر، لزيادة التشويه، بعدما رأيت «علماء» المسلمين يسيئون للإسلام بتكفيرهم شاعراً مسلماً ومصادرة كتاب «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

فلا يعقل أن يكون لشيخ الأزهر كتاب عنوانه «أدب الحوار في الإسلام»، ولا يطلب من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية أن يقوم حوارهم على المجادلة بالتي هي أحسن، بدلاً عن الإجماع، والتوقيع على البيان الصادر ضد كتابي دون قراءة وحوار، فآله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم فتح باب الحوار حتى مع إبليس الذي أبى واستكبر. وقد قدم القرآن الكريم نماذج مختلفة لحوار الخالق جل علاه مع مخلوقاته في السماء والأرض من ملائكته ورسله، كما قرى حوار الأنبياء مع أقوامهم، وحوار أصحاب الجنة فيما بينهم وحوارهم مع أهل النار، كما يجد المرء في القرآن - أيضاً - حواراً مع المنكرين للرسول صلى الله عليه وسلم. يقول شيخ الأزهر د. طنطاوي: «الحوار أمر لا بد منه في



كل زمان ومكان، وهو أوجب في هذا العصر الذي نعيش فيه، لأنه يفتح النفوس على بعض ويعين كل طرف على فهم الطرف الآخر. لأنه من الصعب أن تحدث عملية الفهم هذه دون أن أخاطبك وأتحدث إليك.

في حالتي - ومن المؤكد أنه في حالات أخرى قبلي - لم أر حواراً من أي نوع مورس في مجمع البحوث الإسلامية، بل صبرنا نسمع في زماننا الذي نحتاج فيه إلى الحوار - كما أوضع شيخ الأزهر - إلى عبارة بإجماع آراء العلماء، كأن العلماء لم يعرفوا فقه الاختلاف والتعدد والتنوع الذي هو أهم سمات الدين الإسلامي. إن الضرر يقع على الإسلام من أبنائه الذين يسلكون مسالك خاطئة، ويتكاسلون عن القراءة والفحص كأنهم يؤدون عملاً وظيفياً ينبغي إنجازه على وجه السرعة، ولا ينظمون طرائق العمل داخل مجمع البحوث الإسلامية، فلا بد أن يكون هناك اختلاف في فهم النص وتفسيره، بدلاً عن هذا الإجماع، الذي اعتبره عدواناً، والإسلام قد حرم العدوان على الآخرين (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فإن يتهمني أمين عام مجمع البحوث الإسلامية (الشيخ الفيومي) بالكفر الصريح، فهذا اعتداء لا يسكت عليه، لأنه يعرف قبلي أن الأحكام بالكفر يتطلب أن تكون هناك أدلة واضحة ومؤكدة لا يتطرق إليها الشك على هذا الكفر أو أن يعترف الشخص نفسه بالكفر.

وأخره الدكتور عبد الرحمن العدوي طالب بإنزال عقوبة المفسدين في الأرض في، وفي موضع آخر من حوارته المنشور في جريدة الرأي العام الكويتية (١٢) من نوفمبر ٢٠٠٣، طالب بسجنى، هو يعرف قبلي أن عقاب المفسدين (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض).

والعدوي - هذا - هو الوحيد الذي قرأ الكتاب، وهو متخصص في تكفير المسلمين فلمست الأول في سلسلته التكفيرية، ولكن ما بال زملائه في المجمع الذين شهدوا زوراً، إننى أجل العلماء الحقيقيين واحترمهم وأقدر اجتهاداتهم وجهودهم لنشر صحيح الدين والزود عنه وأريابهم عن الفتوى دون قراءة للكتب، فالإسلام اعتبر مثل هذا السلوك شهادة زور يأثم صاحبها، لذلك أطلب من العلماء، أن يقرأوا الكتاب الذي بصموا أو وقعوا بالإجماع على رفضه، لأننا في دولة اسمها مصر تتبع الوسطية الإسلامية والاعتدال الإسلامى. وما رأيته من بعض أعضاء مجمع البحوث الإسلامية من مغالاة هو من مظاهر تقويض الإسلام وهدم أركانه، وليس لى غير أن أقول «وانذر



عشيرتك الأقريين، فلا تكونوا كابن أبي داوود الظاهري القاضي الذي حكم بإعدام  
الحلاج في عام ٣٠٩ هجرية، لأن كل واحد قد فني بما وجدته، فلم أملك شيئاً ولا ملكنى

شيء. ٤٤

الحيوان الصغير

## نازك الملائكة: الشائرة الملتزمة



إعداد وتقديم:

ريم قيس كبة

لن اعود فأقول كل ما قيل.. ولن أطيل الحديث عن ريادة هذه السيدة أو إبداعها كناقذة وكشاعرة  
وكمؤسسة لحركة شعرية غيرت خارطة الشعر العربي التي امتدت لقرن ونصف القرن.  
بل سأحاول أن أخوض في درب آخر .. ليس جديداً.. لكنه مختلف قليلاً ربما عن الكثير مما  
كتب منذ لحظة رحيلها.. محاولة بذلك أن أحذو حذوها هي في الرغبة في الاختلاف  
سأحاول مثلاً أن اتحدث عنها كترجمة .. أو كإضافة للعود ومنشدة .. سأحاول أن أروي بعض  
تفاصيلها كإنسانة.. تلك المرأة الجدية الحدية الصارمة .. مرهفة الحس.. الأنثى من نوع  
خاص.. والابنة من نوع خاص.. والأم من نوع خاص.. سأطرق للحديث عنها كطالبة متفوقة ،  
وأستاذة حازمة، ومن كل ذلك سنخلص معاً إلى تلك التركيبة الفريدة التي كان أقل ما يمكن أن  
تفضي إليه: هو الريادة

#### البيت:

الأسرة العربية.. طبقة متوسطة مرتاحة مادياً .. محبة للأدب والفن.. العائلة من آل الحلبي  
البغدادي .. لكن أهل الحى صاروا يطلقون على هذه الأسرة لقب الملائكة، لهدوء أفرادها  
وخفتهم.. كانوا إذا مشوا فكانهم لا يلمسون الأرض.. وإذا تحدثوا كانت أصواتهم وأطنة وواثقة..  
ولا يتفوهون إلا شعراً

الأب صادق جعفر الملائكة.. أستاذ اللغة العربية الذى خرج أجيالاً من المخلصين لفهمهم  
وتراثهم .. شاعر وباحث.. والأم: سلمى الملائكة، - الأبنه البكر، لهدايا كبة، - شاعرة فطرية لم  
تكن تكف عن قول الشعر ونظمه في كل المناسبات.

يقترن الأب بالأم وهى في ربيعها الرابع عشر لينجبنا نازك بعد عام.. وتتلهم الأم على يد الأب  
فتتعلم وتقرأ كثيراً حتى لا تعود محض ربة بيت وام لسبعة أطفال (خمس بنات وولدين) .. بل  
تتعدي ذلك لتغدو شاعرة..

فى هذا الجو.. تولد نازك.. وتكبر .. أب شاعر .. وام شاعرة وأحوال شعراء (عبد الصاحب  
الملائكة، أنور الملائكة، د. جميل الملائكة) .. وإيضاً جدة شاعرة..

نازك ترضع الشعر .. وتتغذى من عيون الأدب العربي.. وتنهل من أمهات الكتب فى بيت  
حيطانه من المكتبات .. وأهله، ملائكة، يقدسون الأدب والعلم والفن والموسيقى والثقافة ..  
تحظى نازك الابنة المهمة باهتمام الجميع.. وتحترم آراءهم لينمو بالتدريج احترامها لذاتها  
وأدبها وفننها...

وحينما كانت نازك شابة فى عشرينيات عمرها، شاء حظ الأم أن تصاب بمرض عضال.. فتكون  
نازك رفيقتها إلى إنجلترا للعلاج .. وتغادر الأم دار الفناء .. لتجد نازك نفسها كإنبة باردة.. تجمع

قصائد الأم وتطبعها في كتاب.. ليكون ديوان، أنشودة المجد، ثم نزار الملائكة.. الوالدة.. باقة  
وير من وفاء على قبر في ضاحية انجليزية..

### نازك المرأة:

نازك المرأة التي تنتمي لتلك الأسرة العريقة الملائكية الأخلاق.. تلبس ثوب القديسة.. وتندثر  
روحها وجسدها لحبيب أوحده هو: الشعر.. فتزهّد بأنوثتها.. وتكرس نفسها للحبيب..  
وإذ أن للملائكة رومانسية العالم السحري، فإن للثورة فيهم جزءاً لا يستهان به..  
ولكن المرأة/ الأنثى في نازك لا تشور على الجاهز من التقاليد الاجتماعية الصارمة.. بل تشور  
المرأة/ الشاعرة على الجاهز من تقاليد الشعر الفحولية الصارمة!  
ولأنها امرأة، رغم كل شيء، جاءت ثورتها أكثر جدية وإصراراً.. فقد كبر الهم النسوي ليتحول  
إلى هم أدبي، مدفوع بتقديس للإبداع.. واحترام للأفكار التجديدية.. وإخلاص حقيقي لمعنى  
كلمة ثورة!

### التجديد:

من رحم التراث العربي الأصيل الذي تعقد نازك قرانه على الأدب الإنجليزي الذي كانت تدرسه  
في دار المعلمين العالية، ببغداد.. تولد أواخر عام ١٩٤٧ قصيدة الكوليرا.. منذ ديوانها الأول  
،عاشقة الليل،.. تنبأت الأوساط الأدبية بميلاد شاعرة كبيرة ومنذ ديوانها الثاني ،شظايا ورماد،  
تنبأ الأوساط الشعرية بميلاد ثورة وعالم جديد.. هذا الديوان الذي عضدته نازك/ الناقدة  
بمقدمة كانت بشهادة الكثيرين أهم وأشدّ دويماً من مقدمة وليم ووردز وورث في تنظيره لحركة  
الرومانسيين الانجليز..

### نازك: طالبة مجدة:

هي لا تعرف إلا أن تكون الأولى.. فهي الأولى دائماً في المدرسة، والأولى في الجامعة (الأولى  
في العائلة).. وإيضاً.. بل الأهم.. الأولى في الريادة!  
أمريكا.. جامعة وسكنسن، حيث حطت نازك حقائبها وأوراقها لدراسة الماجستير في الأدب  
المقارن.. فتنال الدرجة مع مرتبة الشرف، وتهب بالتقديم لدراسة الدكتوراه لتجد أحد أساتذتها  
يقف حائلاً دون ذلك، ويثنيها عن استكمال دراساتها بشدة محاولاً إقناعها بشتى الطرق:  
- يا سيدتي الشاعرة، ستفقدين جوهرة الشعر إذا بقيت مصرة على استكمال دراستك.. دعني  
لفطرتك تحليلها وعودي بها إلى وطنك!

وكانت نازك مصرة أول الأمر:

- ولكن يا أستاذ هذا مستحيل .. كيف أعود بلا دكتوراه؟

لقد كنت الأولى في كل مراحل حياتي الدراسية، فكيف أترك الدراسة؟ فيقول لها الأستاذ المخلص بحماس:

- بالتأكيد كنت الأولى في المدرسة.. وكثير كانوا كذلك لكنك الأولى في الشعر وهذا هو الأهم.. وقلة قليلة هم مثلك!

هودى لشعرك وإبداعك .. وستمنحك الجامعات ذات يوم شهادات دكتوراه فخرية لن ينالها إلا من هم مثلك.

وتصدق نبوءة الأستاذ.. بعد سنين من هذا الحديث .. وتمنح نازك شهادات دكتوراه فخرية من عدد من الجامعات العراقية والعربية.. وتنالها نازك .. بجدارة!

تعود نازك إلى وطنها .. وجوهرة الشعر فيها تبقى براءة لامعة تعكس سطوع الملائكة..

ولا تقف الطالبة المجدة عند حد، رغم كل شيء .. تحب الموسيقى وتهوى المود .. فتقرر دراسته في معهد الفنون الجميلة.. وتفوض في بحر المقامات .. تحب الموسيقى الكلاسيكية.. فتصمر أن تسبر غورها بالبحث والدراسة، تحب الأدب الأغريقي واليوناني.. فتدرس اللغة اللاتينية! تحب الأدب الفرنسي فتقرر قراءته بلغته، والترجمة عنه. تعشق عبد الوهاب.. فتحفظ عن ظهر حب كل ما تفوهت به حنجرتة الذهبية!.. نازك لا تكاد تهوى شيئاً إلا وسبرت غوره وغاصت فيه!

### نازك .. الأستاذة الهازمة:

جديتها كطالبة منحتها فرصة أن تكون الأستاذة الصارمة.. عميدة كلية آداب البصرة.. وأستاذة الشعر التي يهابها الجميع.. طيبة حنونة لكنها غضوبية لا تتهاون مع الكسالى والمستسهلين!.. غيورة على لغتها وإرثها وموسيقى الشعر الذي تدرسه! لم تكن تحابي أو تجامل على حساب العلم أو المعرفة..

الرهاقة والصرامة : بهاتين الكلمتين قد نقع على مفتاح نازك .. عينها الشاقبتان كانتا تفوصان إلى أعماق من - أو ما - تريد النظر إليه! أما الاعتداد بالنفس والتواضع، فهما صنوان في روحها لا يفترقان..

### نازك : المرأة / الأم

في سنها الثامنة والثلاثين.. وبعد أن رسخت جذورها الشعرية والثورية في أعماق تربة الذائقة

الشعرية العربية.. تجد نازك نفسها متعلقة بأحد أساتذتها .. وتقرر أن تمنح للأثنى في روحها بعض السكنية..

وترتبط نازك الملائكة، بالرياض الأبدى مع الدكتور، عبد الهادي محبوبة، مؤسس ورئيس جامعة البصرة.. وبعد عام، في مستشفى السامرائي ببغداد تجد نازك نفسها قد أصبحت أماً.. بعد سنين طوال من تبنيها لطفولة الشعر والنقد والثورة!!

وقد كانت - وهى بعد بنت صغيرة - قد تبنت بعضاً من أطفال العائلة مراهنه على أن من الممكن جداً أن تنشئ جيلاً من المثقفين الواعين بالمشاورة على توجيههم وإثراء روح الفضول لديهم للمعلم والمعرفة.

وكانت - وهى بعد شابة صغيرة وراغبة فى محراب الشعر - قد تبنت المشرات بل المئات من الطلبة الذين أشرتهم بعلمها فى جامعتى البصرة والكويت..

لكنها.. وهى على اعتاب الأربعين من عمرها.. تصبح أماً بحق! فراحت نازك تسبر غور أدب الأطفال لترضى وليدها الوحيد «البراق» .. فكتبت له الأغاني والأناشيد والقصص .. ترجمت له حكايات الشعوب، ونحت له على العود ما جادت به قريحة المبدعة..

نازك الأم الحقيقية، وأورثت ابنها فضول المعرفة وحب الأدب والقراءة والموسيقى .. وغرست فى روحه بذرة الثقافة.

### أول الغربة:

بعد انقلاب تموز ١٩٦٨ فى العراق تعرضت نازك الملائكة وزوجها إلى مضايقات وضغوط حدث بهما إلى ترك العراق والذهاب للعمل فى التدريس بجامعة الكويت..

وتصمت نازك وأسررتها عشرين عاماً فى الكويت لكنها لا تنسى بلدها الأم.. فتدأب على زيارته كل عام.. تمر بأهله تسلم على دجلته وفراشه.. تزور الأهل وتعود الأصدقاء وزملاء المهنة والشعر.. تحضر المؤتمرات وتساهم فى المهرجانات، فهى لم تترك وطنها العراق إلا مرغمة.. ولا تكاد تغيب عنه بعض الوقت إلا لتعود إليه.

### نازك المترجمة:

لن يفوتنى وأنا امر بسيرة الشاعرة ويمرض سريع لمنجزها ان أشير إلى هذه المبدعة بصفتها مترجمة.. فوفقاً لدراسات وبحوث فى الأدب المقارن، تصنف نازك لتكون من أفضل مترجمي الشعر إلى العربية، رغم قلة ما قدمته فى هذا المجال.. وتحضرني فى هذا المقام دراسة قام بها

الدكتور سلمان الواسطي (استاذ الأدب الانجليزى فى الجامعة المستنصرية) ، حينما أشار إلى ترجمات نازك للأدب الانجليزى، ومضى فى تحليل ترجمتها لقصيدة «مرثية فى مقبرة ريفية» للشاعر الانجليزى «توماس غراى» .. مؤكداً أنها - نظراً لثقافتها العالية فى اللغتين المترجم منها والمترجم إليها - فإنها من القلائل الذين برعوا فى هذا المجال .. فقد كانت حريصة على الحفاظ على روح النص الأصلى ومخلصة له وثقته مع حرصها على اللغة العربية التى ترجمت إليها .. وهذا هو أصعب ما فى ترجمة الشعر فجاء النص وكأنه مكتوب بالعربية الخالصة .. من دون المساس بروح الشاعر الانجليزى .. أو دونها خسارة للفحوى أو الروح فى النقل!

### العودة إلى الوطن:

مع انتهاء الحرب الدامية بين العراق وإيران، تكون نازك قد ألمت أرجاء بيتها الذى بلغ عامة العشرين فى الكويت .. ووضعت فى الحقائق أوراقها وكتبتها وورقة التقاعد من الجامعة هناك .. عائدة إلى حضن بيتها الدافئ فى بغداد أواسط عام ١٩٨٩.

فتستقر قليلاً ذاتها المتفائلة بنهاية الحرب .. بعد أن كان التفاؤل قد خدع ببريقه بعض الوقت معظم العراقيين الذين تتوق أرواحهم للسلام.

فهل كانت فى صدر نازك نبوءة تشي بدمار الكويت، فاختارت العودة قبل الكارثة ١٩٩٢ لا أحد يمكنه أن يجيب على هذا السؤال إلا الملائكة! ولم يكد يمر عام واحد إلا وتدق حرب الكويت طبولها ومدافنها على رؤوس البيوت الأمانة ..

### العزلة:

وفى هذا الوقت بالذات .. كانت نازك قد ابتدأت باختيارها عزلتها .. لم تكن بعد قد عزلت نفسها عن الحياة الاجتماعية لكنها أثرت عزلة إعلامية أولاً .. فكانت ترفض مقابلة أى صحفى أو إعلامى .. وترفض أى ظهور لها على التلفزيون أو فى الراديو .. وامتنعت عن نشر أى مقال أو قصيدة .. ولم تشارك فى ندوة أو أمسية أو مهرجان .. ولم تكن تحضر أى تجمع أدبى ..

لكنها لم تكف عن الكتابة رغم كل شيء، وإنكفات على إنجاز كتابها «سايكولوجيا الشعر» الذى طبعته فى بغداد عام ١٩٩٣ عن دار الشؤون الثقافية العامة. وهو كتاب نقدى مهم بلا شك. ومنذ ذلك الحين، بدأت تلاحقها الإشاعات .. وكانت نازك غالباً ما تبتسم وترد بصوت ملائكى هادئ:

وأهتف يا نار قلبى الغريب

وموج أحاسيسى الثائرة



إذا اتهموا، فلماذا أجيب؟

بغير ابتسامتى الساخرة؟

## الأردن

ست سنوات فقط كانت المدة التى شاء قدر نازك أن تقضيها فى وطنها، عند مسقط رأسها ووسط أهلها فى العراق.. لكن فشل الحصار الذى حط أوزاره فوق صدور العراقيين عزلة وهماً حال دون هذا البقاء.

فتشّد الشاعرة رحالها من جديد إلى محطة أخرى هى الأردن عام ١٩٩٥، حيث التقتى بولدها الوحيد البراق عائداً من الولايات المتحدة وبين يديه شهادة الدكتوراه فى الأدب الانجليزى .. فليتم شمل الأسرة لعام واحد فى هذه المحطة بين استقرارين!

من خبر العيش على ضفة نهر أو شاطئ بحر، لا يمكنه أن يطيل البقاء فى مدينة بلا ماء.. مثل عمان! وقد ولدت نازك على إحدى ضفاف دجلة، ونشأت وترعرعت فى بغداد التى يشطر هذا النهر الخالد كرخها عن رصافتها .. وحينما عملت فى جامعة البصرة، كان شط العرب مدي نازك الرحيب، ويديها الحميم عن دجلة الذى تبغى بعد ذلك الخليج العربى عندما عاشت فى الكويت.

لذا فلن نتعجب أن نعتبر الراحلة عمان محطة توصلها إلى شط حميم، طالما زارته وأحبته وغنته وكتبت عنه.. فكان النيل ملاذها الأخير.

## هل تراجعت نازك عن ثورتها؟

بقى أن نمر على ذلك ولو مرور الكرام.. رغم أننا مهما قلنا فلا اظننا يمكن أن نضى هذه المبدعة المتفردة حقها.. فهى مرهفة الحس، صادقة صارمة حتى مع نفسها .. لم تحاب ولم تسام، وحتى حينما ذهب الكثيرون إلى القول إنها تراجعت عن ثورتها الشعرية، فلابد لنا من إجابة ولو سرية بالقول إنها لم تراجع .. بل لقد كانت غيورة على تراثها، تخاف عليه من الطارئين والمستسهلين، وقد عمدت إلى تقديم شرح عميق ومفصل عن هذه الحركة الشعرية الجديدة.. التى قالت عنها بأنها : «إذا كانت نضى غرضاً أو سواء فى الشعر فأنها لن نضى شعرنا كل أغراضه، فهى اختارت لثورتها نصف البحور الشعرية .. وخافت على نصفها الثانى من الضياع!! لقد كتبت بصدق ووضوح: أما أن تندثر أغراض الشعر القديم.. أو أن تندثر حركة الشعر الحر؟

نازك الملائكة لم تكن محض مفارقة، لقد كانت من ذلك النوع القريد من المبدعين المنذرين

للحن والإبداع، ولذا فقد كانت في غاية الحذر والالتزام حتي وهي ثائرة!

### القاهرة.. الملاذ الأخير

النيل كان ملاذها الأخير.. حطت على ضفته رجالها ذات صيف من عام ١٩٩٦، وبقيت تناجيه ويناجيها حتى غادرت دار الفناء، وشاء القدر أن يوازي جثمانها الثرى على مبعدة كيلو مترات من هذا النهر الخالد.

وتنأم الشاعرة نومتها الأبدية، في مداخن ٦ أكتوبر عند قبر زوجها المرحوم الدكتور عبد الهادي محبوبية.. كما أوصت أن تنام .. بعد أن استبدت بها العزلة حينما فارقتها الزوج - الحبيب ، فعاشت بعده سبع سنوات راضية لقاء أى أحد إلا بعض أفراد من عائلتها.

فهل أبعدتها عن العالم ظروف العراق؟

وهل أن مرهقة الحس قد اكتوت برحيل المجد عن أمتها؟

أم أنها أثرت الصمت ذهباً من أبلغ القصائد احتجاجاً على عالم ظل يجتاحه السواد؟

فقررت أن تمسح بملائكتيتها البيضاء، وأرخت كل السدول على عوالم أرضية فانية، وطارت مع الملائكة إلى البعيد.. تاركة وراءها المجد والخلود .. وأجيالاً من الأدباء والشعراء والأساتذة الذين لم يتعلموا على يديها فعلاً، فقد تعلموا عبر منجزها وكتيبها ومقالاتها، أو أنهم تبعوها حتى دون أن يكونوا عارفين بمن سن قبلهم هذه السنة الحسنة! أو أنهم قرأوا أو حفظوا أو ردّدوا تفاعيل قلبها وورقة أجنحتها الملائكية!

### الوداع

في العاشرة والنصف من مساء الأربعاء ٢٠٠٧/٧/٢٠ في ردهة العناية المركزة لمستشفى السناجل في حدائق القية.. كنت أقبل جبينها الحانى بميد رحيل روحها بدقائق.. وقلت لها ملء روحى؛

نامى بحفظ الله أيتها الجميلة،

فمثلك لا تغيب.. ولن تغيب

نامى بحفظ الله.. أيتها الرسولوة

**ريم قيس كبة**

## مر القطار

الليل ممتد السكون إلى المدى  
لا شيء يقطعه سوى صوت بليد  
لحمامة حيرى وكلب ينبح النجم البعيد،  
والساعة البلهاء تلتهم الغدا  
وهناك فى بعض الجهات  
مر القطار .  
عجلاته غزلت رجاء بت أنتظر النهار  
من أجله .. مر القطار  
وخبا بميداً فى السكون  
خلف التلال النائيات  
لم يبق فى نفسى سوى رجوع وهون  
وأنا أحدى فى النجوم الحلمات  
أتخيل العربات والصف الطويل  
من ساهرين ومتعبين  
أتخيل الليل الثقيل  
فى أعين سئمت وجوه الراكبين  
فى ضوء مصباح القطار الباهت  
سئمت مراقبة الظلام الصامت  
أتصور الضجر المرير  
فى أنفاس ملت وأتعبها الصفير  
هى وإلحقائب فى انتظار  
هى وإلحقائب تحت أكدا س الغبار  
تغفو دقائق ثم يوقظها القطار  
ويطل بعض الراكبين  
متثائباً، نمرسان، فى كسل يحدق فى القفار  
ويعود ينظر فى وجوه الآخرين

فى أوجه الغرياء يجمعهم قطار  
 ويكاد يغفو ثم يسمع فى شرود  
 صوتاً يغمغم فى برود  
 هذى العقارب لا تسيرا  
 كم مر من هذا المساء؟ متى الوصول؟  
 وتدق ساعته ثلاثاً فى دھول  
 وهنا يقاطعه الصفيير  
 ويلوح مصباح الخفير  
 ويلوح ضوء محطة عبر المساء  
 إذ ذاك يتندد القطار المجهد  
 ... وفتى هنالك فى انطواء  
 يابى الرقاد ولم يزل يتنهد  
 سهران يرتقب النجوم  
 فى مقلتيه برودة خط الوجوم  
 أطرافها .. فى وجهه لون غريب  
 ألقت عليه حرارة الأحلام آثار احمرار  
 شفتاه فى شبه افترار  
 عن شبه حلم يفرش الليل الجديب  
 بخفيف أجنحة خفيات اللحون  
 عيناه فى شبه انطباق  
 وكأنها تدفسي فرار أشعة خلف الجفون  
 أو أن ترى شيئاً مقيتاً لا يطاق  
 هذا الفتى الضجر الحزين  
 عبثاً يحاول أن يرى فى الآخرين  
 شيئاً سوى اللفز القديم  
 والقصص الكبرى التى سلم الوجود  
 أبطالها وفصولها ومضى يراقب فى برود  
 تكرارها البالى السقيم

هذا الفتى...  
وتمر أقدام الخفير  
ويطل وجه عابس خلف الزجاج  
وجه الخفير!  
ويهز في يده السراج  
فيرى الوجوه المتعبة  
والنائمين وهم جلوس في القطار  
والأعين المترقبة  
في كل جفن صرخة باسم النهار  
وتضيق أقدام الخفير الساهر  
خلف الظلام الراكب

مر القطار وضاع في قلب القفار  
وبيقوت وحدي أسأل الليل الشroud  
عن شاعري ومتى يعود؟  
ومتى يجئ به القطار؟  
أقراه مر به الخفير  
ورآه لم يعبا به.. كالأخريين  
ومضى يسير  
هو والسراج ويفحصان الراكبين  
وأنا هنا مازلت أرقب في انتظار  
وأود لو جاء القطار..

## مرثية يوم تافه

لاحت الظلمة في الأفق السحيق  
وانتهى اليوم الغريب  
ومضت أصداؤه نحو كهوف الذكريات  
وغداً تمضى كما كانت حياتي  
شفة ظمأى وكوب  
عكست أعماقه لونَ الرحيق  
وإذا ما لمستَه شفتايا  
لم تجد من لذة الذكرى بقايا  
لم تجد حتى بقايا

انتهى اليوم الغريب  
انتهى وانتحيت حتى الذنوب  
ويكت حتى حماقاتي التي سميتها  
ذكرياتي  
انتهى لم يبقَ في كفى منه  
غير ذكرى نغم يصرخ في أعماق ذاتي  
رائيا كفى التي أفرغتها  
من حياتي، وادكاراتي، ويوم من شبابي  
ضاع في وادي السراب  
في الضباب.

كان يوماً من حياتي  
ضالماً القيته دون اضطراب  
فوق أشلاء شبابي  
عند تل الذكريات  
فوق آلاف من الساعات تاهت في الضباب

فى متاهات الليالى الغابرات.

كائن يوماً تافهاً، كان غريباً  
ان تدق الساعة الكسلى وتحصى لحظاتي  
إنه لم يلك يوماً من حياتى  
إنه قد كان تحقيقاً رهيباً  
لبقايا لعنة الذكرى التى مزقتها  
هى والكأس التى حطمتها  
عند قبر الأمل الميت، خلف السنوات،  
خلف ذاتى

كان يوماً تافهاً.. حتى المساء  
مرت الساعات فى شبه بكا  
كلها حتى المساء  
عندما أيقظ سمعى صوته  
صوته الحلو الذى ضيعته  
عندما أهدقت الظلمة بالأفق الرهيب  
وامتحت حتى بقايا ألى، حتى ذنوبى  
وامحى صوت حبيبى  
حملت أصداءه كف الغروب  
لكان غاب عن أعين قلبى  
غاب لم تبق سوى الذكرى وحبى  
وصدى يوم غريب  
كشحوبى  
عبثاً أضرب أن يرجع لى صوت حبيبى

## أنا

الليل يسأل من أنا  
أنا سيرة القلق العميق الأسود  
أنا صمته المتمرد  
قنعت كنهى بالسكون  
ولففت قلبي بالظنون  
وبيقت ساهمة هنا  
أرنبو وتسالني القرون  
أنا من أكون؟

والرياح تسأل من أنا  
أنا روحها الخيران أنكرنى الزمان  
أنا مثلها فى لا مكان  
تبقي نسير ولا انتهاء  
تبقي نمر ولا بقاء  
هإذا بلغنا المنحنى  
خلناه خاتمة الشقاء  
هإذا فضاء  
والدهر يسأل من أنا  
أنا مثله جبارة أطوى عصور  
وأعود أمنحها النشور  
أنا أخلق الماضى البعيد  
من فتنة الأمل الرغيد  
وأعود أدفنه أنا  
لأصوغ لى أمساً جديد  
غده جليل





والذات تسأل من أنا  
 أنا مثلها حيرى أحرق فى ظلام  
 لا شيء يمنحنى السلام  
 أبقى أسائل والجواب  
 سيظل يحجبه سراب  
 وأظل أحسبه دنا  
 فإذا وصلت إليه ذاب  
 وخبا وغاب

١٩٤٨

## الكوليرا

سكن الليل  
اصغ إلى وقع صدى الأناث  
فى عمق الظلمة ، تحت الصمت على الأموات  
صرخات تعلو، تضطرب  
حزن يتدفق ، يلتهب  
يتعثر فيه صدى الآهات  
فى كل فؤاد غليان  
فى الكوخ الساكن أحزان  
فى كل مكان روح تصرخ فى الظلمات  
فى كل مكان يبكى صوت  
هذا ما قد مزقه الموت  
الموت، الموت، الموت  
يا حزن النيل الصارخ مما فعل الموت

طلع الفجر  
اصغ إلى وقع خطى المشيين  
فى صمت الفجر، اصغ، انظر ركب الباكين  
عشرة أمواج، عشرونا  
لا تحصر اصغ للباكين  
اسمع صوت الطفل المسكين  
موتى، موتى، ضاع العدد  
موتى، موتى، لم يبقى عدد  
فى كل مكان جسد يندبه محزون  
لا لحظة إخلاد لا صمت  
هذا ما فعلت كف الموت  
الموت، الموت، الموت

تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت  
الكوليرا  
فى كهف الرعب مع الأشلاء  
فى صمت الأبد القاسى حيث الموت دواء  
استيقظ داء الكوليرا  
حقداً يتدفق موتورا  
هبط الوادى المرح الوضاء  
يصرخ مضطرباً مجنوناً  
لا يسمع صوت الباكينا  
فى كل مكان خلف مخلبه أصداء  
فى كوخ الفلاحة فى البيت  
لا شيء سوى صرخات الموت  
الموت، الموت، الموت  
فى شخص الكوليرا القاسى ينتقم الموت

الصمت مرير  
لا شيء سوى رجح التكبير  
حتى حفار القبر ثوى ثم يبق نصير  
الجامع مات مؤذنه  
الميت من سيؤينه  
ثم يبق سوى نوح وزفير  
الطفل بلا أم وأب  
يبكى من قلب ملتهب  
وغداً لا شك سيلقفه الداء الشرير  
يا شبح الهيضة ما أبقيت  
لا شيء سوى أحزان الموت  
الموت، الموت، الموت  
يا مصر شعورى مزقه ما فعل الموت

## الخيوط المشدود في شجرة السرو

في سواد الشارع المظلم والصبغت الأصم  
حيث لا لون سوى لون الدياجي المدلهم  
حيث يرخى شجر الدفلى أساه  
فوق وجه الأرض ظلا،  
قصة حدثني صوت بها ثم اضمحلا  
وتلاشت في الدياجي شفتاه

-٢-

قصة الحب الذي يحسبه قلبك ماتا  
وهو ما زال انفجاراً وحياء  
وغداً يعصرك الشوق إليا  
وتناديني فتعني،  
تضغط الذكرى على صدرك عبثا  
من جنون، ثم لا تلمس شيئا  
أى شيء، حلم فقط رقيق  
أى شيء، ويناديك الطريق  
هتفيق،  
ويراك الليل في الدرب وحيدا  
نسأل الأمس البعيدا  
أن يعودا  
ويراك الشارع الحالم والدفلى، تسير  
لون عينيك انفعال وحبور  
وعلى وجهك حب وشعور  
كل ما في عمق أعماقك مرسوم هناك  
وأنا نفسى أراك

من مكاني الداكن الساجي البعيد  
وأرى الحلم السعيد  
خلف عينيك يناديني كسيرا  
... وترى البيت أخيرا  
بيتنا، حيث التقينا  
عندما كان هوانا ذلك الطفل الغريرا  
لونه هي شفتينا  
وارتعاشات صباه في يدينا

- ٣ -

وترى البيت فتبقى لحظة دون حراك،  
«ها هو البيت كما كان، هناك  
لم يزل تحجبه الدفلى ويحنو  
فوقه النارج والسرو الأغنُ  
وهنا مجلسنا..  
ماذا أحسن؟  
حيرة في عمق أعماقي، وهمسُ  
ونذير يتحدى حلم قلبي  
ربما كانت.. ولكن فيم رعبى؟  
هي مازالت على عهد هوانا  
هي مازالت حنانا  
وستلقاني تحاياها كما كنا قديما  
وستلقاني...  
وتمشي مطمئنا هادئا  
في الممر المظلم الساكن، تمشي هازئا  
بهتاف الهاجس المنذر بالوهم الكذوب:  
«ها أنا عدت وقد فارقت أكداً ذنوبي  
ها أنا ألمح عينيك تطلّ

ربما كنت وراء الباب، أو يخفيك ظل  
 ها أنا عدت، وهذا السلم  
 هو ذا الباب العميق اللون، مالى أحجم؟  
 لحظة ثم أراها  
 لحظة ثم أرى وقع خطاها  
 ليكن... فلأطرق الباب...  
 وتمضى لحظات  
 ويصر الباب فى صوت كثيب النبرات  
 وترى فى ظلمة الدهليز وجهاً شاحباً  
 جامداً يعكس ظلاً غارياً:  
 «هل...؟» ويخبو صوتك المبحوح فى نبر حزين  
 لا تقولى إنها...  
 «يا للجنون!»  
 أيها الحالم، بمن تسأل؟  
 إنها ماتت،  
 وتمضى لحظتان  
 أنت مازلت كأن لم تسمع الصوت المثير  
 جامداً، ترمق أطراف المكان  
 شاردأ، طرفك مشدود إلى خيط صغير  
 شك فى السروة لا تدري متى؟  
 ولماذا؟ فهو ما كان هناك  
 منذ شهرين، وكادت شفتاك  
 تسأل الأخت عن الخيط الصغير  
 ولماذا علقوه؟ ومتى؟  
 ويرت الصوت فى سمك «ماتت...»  
 «إنها ماتت...» وترنو فى برود  
 فتري الخيط حبالاً من جليد  
 عقدتها أذن غابت ووارتها المنون



منذ آلاف القرون  
وترى الوجه الحزين  
ضخمته سحب الرعب على عينيك، ماتت...

- ٤ -

هي، ماتت... لفظة من دون معنى  
وصدى مطرقة جوفاء يعلو ثم يفنى  
ليس يعنيك تواليه الرتيب  
كل ما تبصره الآن هو الخيمع العجيب  
أتراها هي شدته؟ ويعلو  
ذلك الصوت الممل  
صوت، ماتت، داوياً، لا يضمحل  
يملاً الليل صراخاً ودويًا  
إنها ماتت، صدى يهمسه الصوت ملياً  
وهتاف رددته الظلمات  
وروته شجرات السرو في صوت عميق  
إنها، ماتت، وهذا ما تقول العاصفات  
إنها ماتت، صدى يصرخ في النجم السحيق  
وتكاد الآن أن تسمعه خلف العروق

- ٥ -

صوت ماتت رن في كل مكان  
هذه المطرقة الجوفاء في سمع الزمان  
صوت، ماتت، خائق كالأفعوان  
كل حرف عصب يلهث في صدرك رعباً  
ورؤى مشنقة حمراء لا تملك قلباً  
وتجنّى مخلب مختلج ينهش نهشاً  
وصدى صوت جحيمي أجشاً



هذه المطرقة الجوهاء: ماتت،  
هي ماتت، وخلا العالم منها  
وسدى ما تسأل الظلمة عنها  
وسدى تصغى إلى وقع خطاها  
وسدى تبحث عنها في القمر  
وسدى تحلم يوماً أن تراها  
في مكان غير أقباء الذكر  
إنها غابت وراء الأنجم  
واستحالت ومضة من حلم.

#### -٦-

ثم ها أنت هنا، دون حراك  
متمعباً، توشك أن تنهار في أرض الممر  
طرفك الحائر مشدود هناك  
عند خيط شد في السروة، يطوى ألف سر  
ذلك الخيط الغريب  
ذلك اللغز المريب  
إنه كل بقايا حبك الذاوي الكثيب.

#### -٧-

وبراك الليل تمشى عائداً  
في يديك الخيط، والرعشة، والعرق المدوي.  
إنها ماتت... وتمضى شارداً  
عابثاً بالخيط تطويه وتلوي  
حول إيهامك أخرا، فلا شيء سواه،  
كل ما أبقي لك الحب العميق  
هو هذا الخيط واللفظ الصفيق  
لفظ، ماتت، وانطوى كل هتاف ما عداه

## مرثية امرأة لا قيمة لها

«صور من زقاق بغدادى»

ذهبت ولم يشحب لها خد ولم ترجف شفاه  
لم تسمع الأبواب قصة موتها تروى وتروى  
لم ترتفع أستار نافذة تسيل أسى وشجوا  
لتتابع التابوت بالتحديق حتى لا تراه  
إلا بقية هيكل فى الدروب ترعشه الذكر  
نبأ تعثر فى الدروب فلم يجد مأوى صداه  
فاولئى إلى النسيان فى بعض الحفر  
يرثى كآبته القمر.

والليل اسلم نفسه دون اهتمام، للصباح  
وأتى الضياء بصوت بائعة الحليب وبالصيام،  
بمواء قط جائع لم تبق منه سوى عظام،  
بمشاجرات البائسين، وبالمراة والكفاح،  
بتراشق الصبيان بالأحجار فى عرض الطريق،  
بمسارب الماء الملوث فى الأزقة، بالرياح،  
تلهو بأبواب السطوح بلا رفيق  
فى شبه نسيان عميق.

١٩٤٢/٧/٩

## صلاة الأشباح

تلمت الساعة الباردة  
على البرج، في الظلمة الخامدة  
ومدت يداً من نحاس  
يداً كالأساطير بوذا يحركها في احتراس  
يد الرجل المنتصب  
على ساعة البرج، في صمته السرمدي  
يحدق في وجمة المكتئب  
وتقذف عيناه سيل الظلام الدجى  
على القلعة الراقدة  
على الميتين الذين عيونهم لا تموت  
تظل تحدق، ينطق فيها السكوت  
وقالت يد الرجل المنتصب:  
صلاة، صلاة،

وذبت حياه  
هناك على البرج، في الحرس المتعبين  
فساروا يجرون فوق الشرى في أناه  
ظلالهم الحانيات التي عفتها السنين  
ظلالهم في الظلام العميق الحزين  
وعادت يد الرجل المنتصب  
تشير: صلاة صلاة،  
فيمتزج الصوت بالضجة الداوية،  
صدى موكب الحرس المقرب  
يدق على كل باب ويصرخ بالنائمين  
فيبرز من كل باب شبح

هزيل شحِبَ  
يجر رماد السنين،  
يكاد الدجى ينتحب  
على وجهه الجمجمى الحزين

وسار هنالك موكبهم فى سكون  
يدبون فى الطرقات الغريبة، لا يدركون  
لماذا يسىرون؟ ماذا عسى أن يكون؟  
تلوت حواليتهم ظلمات الدروب  
أفأعى زاحفة ونيوب  
وساروا يجرون أسرارهم فى شحوب  
وتهمس أصواتهم بنشيد رهيب،  
نشيد الذين عيونهم لا تموت،  
نشيد لذاك الإله العجيب  
وأغنية ليد الرجل المنتصب  
على البرج كالعنكبوت  
يد من نحاس  
يحركها فى احتراس  
فترسل صيحتها فى الدياجى  
«صلاة صلاة»

وفى آخر الموكب الشبحى المخيف  
رأى حارس شبحين  
يسيران لا يدركان متى كان ذاك واين؟  
تحز الرياح ذراعيهما فى الظلام الكثيف  
ومازال فى الشبحين بقايا حياء  
ولكن عينيهما فى انطفاء  
ولفظة «صلاة صلاة»

يضج بسمييهما في ظلام المساء

«أست ترى،

خذهما»

ثم ساد السكون العميق

ولم يبق من شبح في الطريق.

وفي المعبد البرهمنى الكبير

وحيث الغموض المثير

، وحيث غرابة بوذا تلف المكان

يصلى الذين عيونهم لا تموت

ويرقبهم ذلك العنكبوت

على البرج مستغرقاً في سكوت،

فيرتفع الصوت ضخماً، عميق الصدى، كالزمان

ويرتجف الشبحان

من القلمة الرطبة الباردة

ومن ظلمات البيوت

ومن الشرف المارده

ومن البرج، حيث يد العنكبوت

تشير لنا في سكوت

من الطرقات التي تملك الظلمة الصامته

أتيناك نسحب أسرارنا الباهته

أتيناك، نحن عبيد الزمان

وأسراه نحن الذين عيونهم لا تموت

أتينا نجر الهوان

ونسألك الصفح عن هذه الأعين المذنبه

ترسب في عمق أعماقها كل حزن السنين

وصوت ضمايرنا المتعبه

اجش رهيب الرنين  
اتيناك يا من يذر السهاد  
على أعين المذنبين  
على أعين الهارين  
إلى أمسهم ليلوذوا هناك بتل رماد  
من الغد ذي الأعين الخضراء، يا من نراه  
صباح مساء يسوق الزمان  
يصدق، عيناه لا تغفوان  
وكفاه مطويتان  
على ألف سن، اتينا تمرغ هنئ الجباه  
على أرض معبدته في خشوع  
نناديه، دون دموع،  
ونصرخ: آه  
تعبنا فدعنا ننام  
فلا نسمع الصوت يهتف فينا: «صلاه»  
إذا دقت الساعة الثانيه،  
ولا يطرق الحرس الكالحون  
على كل باب بأيديهم الباليه  
وقد أكلتها القرون  
ولم تبق منها سوى كومة من عظام  
تعبنا .. فدعنا ننام..  
ننام، وننسى يد الرجل العنكبوت  
على ساحة البرج، تنثر فوق البيوت  
تعاويد لعنتها الحاقده  
حنانك بوذا، على الأعين الساهده  
ودعها أخيراً تموت  
وفي المعبد البرهمي الكبير



تحرك بوذا المثير  
 ومد ذراعيه للشبهين  
 يبارك وأسيهما المتعبين  
 ويصرخ بالحرس الأشقياء  
 وبالرجل المنتصب  
 على البرج في كبرياء،  
 «أعيدوهما»  
 ثم لف السكون المكان  
 بولم يبق إلا المساء،  
 ويوذا، ووجه الزمان

## شمس للقاهرة

زارت القاهرة مدينة القاهرة في شهر آب ١٩٧٢

وحيتها بهذه القصيدة وكان ذلك قبل حرب رمضان..

تحية يا قاهره  
يا ومضة الكواكب المسافره  
يا عشة الحمام، يا مأوى الطيور الصافره  
يا نعسة الجمال في هذب العيون الفاتره  
حييت يا سيف صلاح الدين  
يا صخرة الصمود، يا أرض الضائيين  
يا أرق اللهيب، يا سهد القلوب الصابره  
يا مجد هذى الأرض، يا محبرة التاريخ، يا دفاتره  
يا موجة عذراء قرآنية،  
تلطم شطآن القرون الهادره  
يا مطراً من مقلتي تشرين  
يا عنقاً ممدوداً وفوقه سكين  
تنتحر السكين  
وانت تبقين لنا يا قاهره  
غيمة حب ماطره  
تبلل الصحراء تهمل مطراً من سكر وتين  
تحية للقاهرة  
باقة حب ضفرتها شاعره  
ونخمة تمطر ثلجاً لرمال تحت شمس صاهره  
تحية للنيل، نهر الخصب والسلام  
لمعبد مسهد، سهران لا ينام  
للأزهر العتيق، للأهرام  
لرمل سيناء التي تهيم في أودية الظلام  
تحت الأكف الجامحات الماكره



فلتصبري يا قاهره  
يا بجعة مع النسيم طاهره  
الضوء قد أسدل فوق عشها ستائرہ  
والنيل قد وسدها ضفائره

مهمومة يا قاهرة  
محلولة الشعر على الأرضفة المهدومه  
كطفلة جائعة محرومه  
حزينة حزن الليالى الماطره  
فلتعلمى يا قاهره  
أن العدو حريه مقامره  
وظله غيمة صيف عابره  
وحكمة فى تل أبيب قلعة موهومة تسير لانهدام  
قابعة تحلم، كالخفاش، بالانقراض والظلام  
هجر غد فى أرضها تزغرد الألفام  
نخرج من قماقم الأوهام  
نسلخ النيام  
نقلّم المخلب والمؤامرة  
نستقيلك من جذب الصحارى لبناً يا قاهره

هجر غد، تقاتل الأقصر والأهرام  
وينهض النيل إلى انتقام  
ويغضب الأزهر، يستنهض فى نغمته منالره  
تنور فيه حلقات الدرر والأوراق والأقلام  
سينهض الحق من المسلخ جبار اليدين  
ساقياً من دمهم أظافره  
يطردهم ويغسل الوهاد والأكام  
من درن القافلة الوحشية الأقدام



ويومها تطلع شمس عذبة للقاهرة  
 وغصة لنكسن وسائر السماسره  
 ويومها يكون الابتسام  
 ويثبت السلام  
 في حقلنا كرومه، اعلامه، بيادره  
 يعود للمش ضياء الأنجم الحزينة المهاجره  
 ويمد طول السهد  
 ترتاح على النيل عيون ساهره  
 وترجعين طفلة ضاحكة الأحلام  
 يا قاهره!  
 يا قاهره  
 وتسدين شعرك الطويل موسيقى وضحكاً  
 تحت هذب نجمة مسامره  
 وتصيح السكين ذكرى غابره  
 بعيدة، مطمورة، ممسوحة  
 وراء بحر اللانهايات  
 وخلف الذاكره

١٩٧٣/٨/٣

## جوائز وجنائز

### عيد عبد الحليم

عودتنا جوائز الدولة - منذ إنشائها في منتصف القرن الماضي على لغة المفارقة والأسئلة الممزوجة بعلامتي التساؤل والتعجب، فكثيرون ممن يحصلون عليها ليسوا في حسان الحركة الفكرية والثقافية في شيء، وكثيرون ممن لم يحصلوا عليها كانوا عصب الحياة الفكرية وروادها وحين يحصل من يستحق على الجائزة - بمسمياتها المختلفة - نقول لقد أخطأت الجائزة، ويعلمونا التعجب، وهكذا. وإذا كان عدد - لا بأس به - من الفائزين قد أثلج صدورنا جميعاً هذا العام، إلا أنه تبقى - هناك علامة تعجب كبيرة - بحجم مبنى المجلس الأعلى للثقافة - وربما بحجم مبنى وزارة الثقافة بشارع شجرة الدر بالزمالك - حول حجب جائزة الدولة التشجيعية خاصة في فرع، القصة القصيرة، رغم تقدم ٢٩ عملاً قصصياً لها بعدما رفعت لجنة القصة، تقريرها بأن هذه الأعمال لا ترقى إلى مستوى الجائزة.

مع العلم أن هذه اللجنة - من وجهة نظري - غير ذات اختصاص - أولاً لأن معظم أعضائها ليسوا كتاباً للقصة، حتى أن رئيس اللجنة ناقد هو د. حمدي السكوت، وليس كاتباً للقصة، وكثير من أعضاء اللجنة يحملون ذائقة كلاسيكية لا تقوى على متابعة الإبداع الجديد بتجلياته المختلفة، وهنا يتبادر سؤال جوهرى كيف يهمل هؤلاء ويجارون كثيراً بأن هذا الزمن هو زمن السرد والقصة والرواية، وتخرج هذه الأشكال فارغة اليديين من موائد الجوائز.

كذلك الحال بالنسبة للجنة الشعر التي اختارت شخصاً لم ينشر قصيدة من قبل ولم نقرأ له حرفاً واحداً ليحصل على الجائزة التشجيعية - يا للمهزلة - في الشعر، بعد أن وضعت هذه اللجنة - بين قوسين، الموقرة، شرطاً مجحفاً أشبه بـ، شروط المرأة الكارهة، كما يقال في العبارات الدراجة في ريف مصر، وهو أن يكون النديوان المقدم عمودياً، وكأننا نعود - مرة أخرى - إلى العصر الحجري، ربما احتاج بعض أعضاء لجنة الشعر إلى بعض الحمى والأحجار ليقتنوا بها شعراً قصيدة النثر الملائمين - الذين دعت عليهم أمهاتهم في ليلة سوده بأن لا يحصلوا على جائزة وأن لا ينشر لهم في السلاسل الرسمية - مادامت لجنة الشعر توزع بطاقات التموين على كل من هب ودب، وتظن أنها تملك، رصاصة الرحمة، للمخالفين لها، ونسى أعضاءها أن الأيام تدور ونسوا أنهم وقفوا - ذات يوم - نفس الموقف فغضبوا ، فهل يحتملون غضبة الشعراء، وهل يحتملون شهادة التاريخ عليهم، بأنهم يريدون إخفاء وجه التجريب ويأبى الشعر إلا أن يكمل دورته في الحياة - وهو بكل تأكيد من خلال روح التجريب - قادر عليها.

فليهنأ سدة الشعر بالكراسي الجلدية وسفريات وزارة الثقافة، وليهنأ الشعراء بدواوينهم التي اقتطعوا ثمن نشرها من قوت أولادهم فلمنشر عاشوا، وبالشعر عاشوا.

## سبب للجب

للكاتبة الإسبانية: فاني رويو

ترجمة: د. طلعت شاهين

مدير في ١٧ يونيو ١٩٩٥

معامل بالتيس، مكتب المدير

السيد رايموندو بينادا

شاح بوينتي سان خيل رقم ٢٧، الدور الرابع يسار

مدير ٢٨٠٣٤

سيدنا المحترم:

كمدير عام لشركة معمل بالتيس، موكل بإبلاغك بأن السيدة زوجتك «إلينا بياوروتيا»، الموظفة الفنية بمقر هذه الشركة، تم التنبيه عليها مرات عديدة بالحضور إلى مكتبى بشكل عاجل لشرح أسباب تخلفها عن الالتحاق بعملها الموكلة به بعد فترة سفرها الذى قامت به إلى العاصمة صنعاء لأسباب تجارية. وأود إبلاغك هذا الطلب كتابة نظرا إلى عدم الاستجابة إلى الاتصالات التليفونية التى أجرتها منسقة العمل فى المؤسسة على عنوانكم الخاص.

وفى انتظار ردكم

مع وافر الاحترام

رفائيل ساليينا

مدير معامل بالتيس، مدريد

• • •

١٧ يونيو ١٩٩٥

فاكس من سكرتارية التنسيق بمعامل بالتيس - مدريد  
إلى السيدة/ إلينا بياوروتيا، مدريد، فاكس رقم ٣٩٤٦٤٩٩.  
خيديسا.  
لثناية السيد/ راييموندو بينادا

صديقتي المحترمة

أريد أن أخبرك عبر فاكس مكتب السيد زوجك إننا حاولنا مرات عديدة الاتصال بحضرتك أو بأى فرد من العائلة لمعرفة أسباب عدم عودتك إلى العاصمة بعد توقيع الاتفاقيات التجارية لمعامل بالتيس مع اليمين. ومع ذلك، فإن جميع جهودنا فشلت بسبب رد خادمة منزلكم التى كانت ترد على مكالمتنا الهاتفية بقولها: السيدة بياوروتيا لم تعد إلى إسبانيا وأن أفراد أسرتها (يكادون لا يتواجدون فى البيت أبدا) وأنهم غير منزعجين لغيابك بشكل خاص، وأنهم اقتصوا بها يوم ١٤ تليفونيا وأنها بحالة صحية جيدة، ولكنها قررت، فيما يبدو لأسباب مهنية تأجيل عودتها إلى مدريد فى اللحظات الأخيرة. وبالتصال بمكتب صنعاء، ابدوا لنا أن السيدة بياوروتيا، بعد توقيعها على الاتفاقيات من خلال السفارة التى ترعى مصالحنا (لعدم وجود سفارة لإسبانيا فى اليمين) قررت إلغاء سفرها إلى مدريد، حيث كان من المقرر أن تصل عبر باريس يوم ١٣ نفسه، وأنها خلافا لذلك استقلت طائرة متجهة إلى عدن يوم ١٥، عاصمة الجنوب التى كانت حتى وقت قريب تسمى اليمين الديمقراطية. ونظراً لخطورة الطريق بالنسبة لسيدة بلا حراسة ولم تطلب من رؤسائها الإذن بهذا التأخير بعد إنهاء عملها، كان يجب أن نخبركم أنه بأمر من مديرنا، أن الشركة لا يمكنها أن تكون مسئولة عما يمكن أن يحدث لها بعد ذلك وإنه على أية حال، فى حال عدم حضورها فى أسرع وقت للقيام بواجبات الوظيفة وشرح أسباب تأخيرها، فإن ما يمكن أن تقدمه من اعتذار سيتم

رفعه إلى اللجنة الدولية لمعامل بالتيس لدراسة هذه الحالة واتخاذ ما تراه من جزاءات بشأنها.

ايفانخلينا جوتيريس

منسقة بمعامل بالتيس / إسبانيا

• • •

مدريد في ١٩ يونيو ١٩٩٥

السيد / رايموندو بينادو

بوينتي دى سان خيل رقم ٢٧

مدريد ٢٨٠٣٤

الصديق العزيز رايموندو

ارجو ان توصل على جناح السرعة المذكرة التي اضمنها هذه الرسالة إلى إيلينا، أنا - اعتقد أنك تتذكرني - زميل العمل في شركة زوجتك وفي حاجة شديدة إلى الاتصال بها، وأنا اتحمل مسئولية اللحظات الرهيبة التي تعيشونها وأعرض على حضرتك وعلى الأسرة بذل ما في استطاعتي عمله من أجلكم.

شكراً

كارلوس بوتاس

المذكرة المرفقة:

«إيلينا، سيحاول «ساليانس» ان ينتهز فرصة غيابك غير المضمون ليضع فوق رؤوسنا أحد معارفه ويقول إنه هنى من «يالى»، وأرسل في طلبه ليحتل مكانك دون أن يطلب رأى أى منا. من فضلك عجلى من عودتك فوراً ودعك من الانجذاب إلى الغرابية التي تشاهدها. ستكون الفرصة سانحة لك للعودة إلى المكان نفسه في إجازتك المقبلة، وحدك أو برفقة من تريدين. لقد تلقيت حالا بطاقتك البريدية، بلا طابع بريدى، ومؤرخة بيوم ٦، حيث كنت تعلنين رغبتك في العودة، فكري في أبناك وفي «بالتيس» أعنى فكري في عملك. عودة إلى بطاقتك، عندما شاهدتها في صندوق بريد البيت

اعتقدت أنك في الأندلس، فصورة البطاقة تشبه كثيرا حى القصبة. عدا ذلك، أمضيت ثلاثة أيام بلا نوم خوفا من المعامل لو أنك لم تعودى إلى عملك فوراً. ولا أنام لأننى أفكر فى أشياء أخرى.. أرسل لك هذه الرسالة من خلال زوجك. وآسف على تدخله فى علاقتنا. ولكن لم تكن أمامى من طريقة أخرى أكثر نجاعة ورقة. مهم جداً - أنت تفهمين أليس كذلك؟- أن تعودى فوراً!! أم أنك عثرت على «نور» حياتك؟ آسف على هذا المعنى الخفى.. أنا حزين.

قبلاتى

كارلوس

• • •

مدييد فى ٢٧ من يونيو ١٩٩٥

لثناية انخليينيس اسباداس

للاستاذ الدكتور/ طالب

كلية الفنون- صنعاء- اليمن

من اوروا بينادو بياوروتيا.

شارع تيخيدوريس رقم ٧

٢٨٠١٢ - مدريد

الأستاذ المحترم

أكتب لك عبر صديقة للعائلة، أستاذة تاريخ العالم الإسلامى دسارا ستانلى، التى التقيت أنت بها فى جامعة القاهرة خلال العام الدراسى ٧٦ - ٧٧ لأطلب من حضرتك أن تسلم إلى أمى «لينا بياوروتيا» الرسالة المرفقة فقد سافرت إلى صنعاء يوم ١ يونيو لتوقيع اتفاق تجارى لحساب شركتها معامل «بالتيس»، أجهل عنوانها الحالى وخططها خلال وجودها فى بلدكم واعتقد أنه يمكن لحضرتك الاتصال بها بسهولة طبقاً لما قالته لى السيدة ستانلى، واعتقد إنكما التقيتما. أشكر لحضرتك جهودك وأرسل لك بأرق تحياتى

اوروا

ملحوظة:

حدثتنا الأستاذة ستانلى، عن حضرتك كثيرا ، وقدمت لنا بعض كتبك. يا له من جميل وطنك! لا أندھش كثيرا إن كانت أمى قد عثرت فيه على المعادن المطلوبة لأبحاثها. أعتقد أنها ستنتهزها بشكل كبير. أبعث إلى حضرتك بأرق التحيات.

اوروا بينادو بياوروتيا.

• • •

١ - ٥ من يوليو ١٩٩٥

السيد / على أحمد طالب

جامعة صنعاء - كلية الفنون

صنعاء - اليمن

من معهد المعلمين بمدريد

كيف الحال يا سيد / على أحمد؟

هل تمكنت من حل مشاكلك العائلية؟ هل والدك فى صحة جيدة؟ إن شاء الله نلتقى مرة أخرى خلال هذا العام فى القاهرة، فى الاجتماع السنوى للمستشرقين، أكتب لك ببساطة حتى يمكننا أن نضع الخطط النهائية، ولكنى أكتب لك اليوم رسالة مرفقة من «اوروا» إلى أمها، التى توجد كما تعرف كفنية تجارية فى زيارة عمل فى اليمن ولم تعد، فيما يبدو، حسب رغبتها. ترى هل شاهدت «إينا»؟ نود أن نعرف مكانها والاتصال بها بشكل عاجل. يكون جميلا منك أن تسلمها رسالتى وتبعث لى بعنوانها النهائى فى عدن، يبدو أنها تعيش هناك كرامبو القرن العشرين، يخشى الجميع هنا أن يكون بقاؤها هناك لأسباب جنسية، نتيجة ما أشاعته قراءة رواية «الولة التركى» للكاتب «انطونيو جالا» بين الأسبان الذين يعانون مشاكل منتصف العمر الزوجية، الذين كبروا على الأعياب الحب ولايزالون أصغر من أن يلعبوا دور الجدات، وهم الأكثرية فى هذا البلد قليل الإنجاب والمندفع إلى سياسة تبنى الأطفال.

قبلات كثيرة من صديقتك «سارا».

• • •



مدرید فی ۱ من یولیو ۱۹۹۵  
إلى أینا، من اوروا بینادو بیاوروتیا  
أمی،

وصلتني بطاقتك البريدية وعليها صورة تلك البيوت الغربية المبنية من الطوب. هل حقيقة تحتل تلك البيوت البقاء وهي التي تبدو هشة جدا؟ لقد قلت القليل عن قرارك بالبقاء هناك، وإنك اتخذت قرارك على عجل وخلال جلسة ذات، (هكذا تكتب هذه الكلمة اليس كذلك) وهل حقيقة إنه الأمر الوسط ما بين الماريجوانا وأوراق الغار (والهرقسوس)؟ أما بالنسبة لمعدنك المفضل فإن عمي، اليكس، يقول إنه يمكنك أن ترسلني إليه ببعضه، لقد كان هو من أعطاني كل المعلومات عن ذلك البلد البعيد. قصي على ما الأمر بالضبط كل ما يتعلق بجلسات القات ورغبتك في البقاء. رغم أني اعتقد أنه متعلق بحوارنا الأخير. لكن هل الأمر مجرد مزحة وإنك ترغبين في إرهابنا أم أنك التقيت بالشيخ اليمنى المستعد لتأمين حياتك؟ كلنا معك مادام هذا يريحك، هل حقيقة ترغبين في تركنا لفترة ما؟ حسنا، يا أمي بخلاف الخوف الذي تسببت فيه فإنه يجب عليك أن تفكرى بجدية ما يجب عليك أن تفعل، عندما أخبرتني يوم الرابع عشر تليفونيا فقد اعتقد أنها مجرد مغامرة، مهما كانت خطورتها ومفاجأتها، فقد كان الأمر أكثر من طاقة احتمال، كنت تبدين واثقة في المرة الأخيرة التي تحدثنا فيها. وقلت لي أنك كنت تودين قضاء بعض الوقت، وإنك في حاجة إلى ذلك أما الآن وبعض مضي بضعة أسابيع من آخر خلاف مع أبي حول علاقته بالسيدة تريجال، أنا اعتقد إنه كان خارج نطاق الرحلة العادي فقط لتبتي أنه مجرد «خان» شبقى تملنانه أمام الأصدقاء. وأنه مجرد سباق من تلك التي يطرحونها للخروج من مسار الحياة العادي الممل. يبدو، رامون، الآن غاضبا هما أن يصل البيت حتى يحبس نفسه في مكتبه حتى منتصف الليل ولا يكف عن الاتصال بأصدقائه من أعضاء السلك الدبلوماسي ليتحدثوا عن الأوضاع في اليمن وطلب نصيحتهم خلال هذه الأزمة العابرة التي تسببت أنت فيها لكن لا تخافي فلا أحد يطرح إمكانية تدخل البوتيس وإحضارك مقيدة بالسلاسل كما كان يحدث قديما. في النهاية، ماما، اهمل ما تريئه الأفضل لك، أنا أثق بك وأنضم أسيا بك. أرسلني فوراً عنوانك في عدن أو صنعاء حتى نكون على اتصال. ورقم تليفون يمكننا أن نتصل بك عبره وأعدك إنني لن أخبر أحدا به. اكتبني لي على عنوان «انخلينيس»، إذا كنت لا تثقين في وصول البريد على

عنوان البيت. عندما تعودين، لا تنسى أن تحضري لى منديلا من الحرير الأسود، من ذلك الذى ترتديه النساء كغطاء رأس لأرتديه خلال وجودى فى مدرسة اللغات . وأيضا ،جنبيه، لوالد «نينيس، من تلك التى يضعها الرجال، وثمان من الرجال الأثرياء من اولئك الذين تعرفت عليهم، ارجو أن تصلك هذه الرسالة فى أسرع وقت. هل تحتاجين إلى شيء، بعض الكتب، أدوات تجميل، إلخ...؟ حقيقة زملاؤك من ثقلاء الدم فى المعمل لايزالون يسألون عن الاتفاقيات التجارية التى وصلت عبر الحقيقة الدبلوماسية، ولكنهم يريدون معرفة رأيك المباشر وحضورك شخصيا. قبلاتى ، ماما، ولا تستمرى فى اللعبة كثيرا، أثق بك ، وثقى بى.

اورورا

• • •

مديرى فى ١٤ يوليو ١٩٩٥  
فاكس من رايموندو بينادو  
إلى سعادة السيد / ألفريدو اندوخار  
سفير إسبانيا - باريس  
فاكس رقم ٠٧٣٣١٤٥٦٨١٠٠٦

### عزيزى ألفريدو

كما اتفقنا فى حوارنا ، افعل المستحيل حتى يأتونى بـ «إلينا، التى من المؤكد إنها فقدت عقلها فقد أمضت حياتها كلها تفعل نفس الشيء حتى طريقتى فى الحياة، والآن تصفى حسابها معى عن السنوات العشرين التى أمضيناها فى زواجنا معا، وه أنت ترى العواصف ، أنها نفسها كالبلاد: عشرون عاما للانتقال من حال إلى حال، تقلب البيت رأسا على عقب ، تضعه فى الخدمة وحتى تجعله يستخدم بأسوا ما يمكن وفى النهاية يأتون بشكوى انفجار المياه فيه..

الشخص الذى أعطيتنى اسمه للاتصال به كان متعاوناً جدا والآن لم يعد أمامى من أمل سوى الثقة فى القيام بكل ما فى وسعه باليمن، أنت لا تعرف صعوبة أن اتمالك نفسى فى أوضاع حساسة كتلك التى تمر بها زوجتى (لو كانت على الأقل فى بلد عادى) أبلغ تحياتى إلى الأصدقاء فى السودان لعرضهم مساعدتى (يا لها من مشكلة عدم وجود قنصلية إسبانية فى تلك الصحراء) لقد تذكرت الآن أن لى صديقاً قديماً

من أصل تركي يعمل في ميناء موخا، صديق قريب جدا لعديلي ربما يكون موسيقيا صوفيا هذا إذا كان قد تغير منذ آخر مرة شاهدته فيها في روما وهو يحمل الأكورديون يا إلهي، ربما كان الأمر يتعلق بالجنس أو ما شابه ذلك، من يعلم ما الذي يقدمونه لها لتتناوله! ربما لم يكن مهما البحث في هذا الأمر ربما عقدنا الأمور أكثر ما هي عليه رغم أنني أتذكر أن شقيقك هو من أعطاه عنوان هذا الصديق عندما ودعته، أنا لا اعتقد أنها اهتمت بالاتصال به . أخشى أن تكون قد تعرضت رغما عنها لممارسات شيطانية.. في النهاية لا أريد أن أعقد الأمور، أقص عليك هذا ربما ليساعدك على طريقة العثور عليها.

وأيضا اعتقد أن صديقة لها «سارا ستاللي، أستاذة تاريخ الإسلام في معهد يحمل اسم ملك مسلم من أشبيلية لا أذكر اسمه، ودرست في القاهرة ربما قدمت لها عنوانا آخر لا أعرف عنه شيئا كما قالت لي، لا أتذكر المسألة تماما لمجرد التفكير أفكر في أنها ربما تكون ضحية لجماعة مهووسة. حقيقة لا أستطيع أن أقول لك ما أفكر فيه، وصحيح أيضا أن «الينا، بسبب أزمة علاقتنا لا شيء إنه أمر طبيعي كما تعلم فهي على استعداد للانتقام مني، أرجو ألا يستمر الوضع أكثر من اللازم كما حدث في مرات سابقة، أنا المخطئ واعترف بهذا أمام الله، حسن .. أنقل إلى ل «اوروا، تحياتي وعرفاني بأفضل الكما مما لما تفعلانه من أجلى.

رايموندو

• • •

مدير في ٢١ يوليو ١٩٩٥

هاكس إلى السيد / رايموندو بينادو

من سعادة السيد / مدير معامل بالتيس الدولية

(هاكس رقم ٠٠٣٤١٨٩٠٦٦٥٤)

مجموعة شركات خيدسيا.

الصديق العزيز

بعد المحادثة الطويلة التي جرت بيننا، والتي حثنا عليها صديقنا المشترك «الفريدو اندوخان، بمناسبة الوضع الحرج لضحة زوجتكم إضافة إلى مشاكل العمل الأخرى، فإنها قررت أن تمد زيارة العمل التي تقوم بها لليمن لبضعة أيام أخرى، وأبلغكم إنه من

خلال هذا القسم تقرر مد هذه الرحلة لمدة ثلاثة أشهر أخرى، والتي أرجو أن تتمكنوا خلالها من حل تلك المشاكل بشكل مرض. والسيد «رفائيل ساليانس» مدير مشروع اليمن - إسبانيا يوافقني الرأي تماماً على هذا. ولذلك ليس ضروريا إرسال رسالة لإبلاغه بذلك. لأنه تم تكليفى أنا شخصياً بشرح الأسباب التى وقعت وتسببت فى تأخير عودة زوجتكم. مما تسبب فى تأخيرها فى العودة إلى العمل فى العمل. وأنا أعتقد إنه حسب ما قلته حضرتك بأنه نظراً لعدم وجود مكتب دبلوماسى لبلادنا فإننا نرى أنه لا بد من سفر أحد أفراد العائلة إلى هناك نظراً للحالة النفسية التى نتجت عما حدث حتى يمكن مرافقتها خلال رحلة العودة أو مساعدتها فى تقرير ذلك.

وننتظر أخباركم وحتى يجد جديد نرجو أن تبلغوا زوجتكم نبأ التصريح الرسمى لها بالبقاء لمدة تسعين يوماً ويمكنها خلال تلك الفترة أن تنسى واجباتها المهنية وتهتم بأحوالها الشخصية. مع خالص تحياتنا.

خواكين ديات

رئيس مجلس إدارة معامل بالدیس - أوروبا

• • •

بطاقة بريدية مرسله بتاريخ ٢٣ من يوليو ١٩٩٥

من طرف / الفريدو اندوخار

عبر السفارة الإسبانية فى باريس

إلى / رايموندو بينادو فى خيديسا.

صديقى رايموندو

كان لطيفاً أن نستعيد ما عشناه خلال فترة زمالة الدراسة. ومن لا يحسن إلى تلك الأيام؟ إنهم يعملون قدر طاقتهم حسب ما أرى، من داخل نطاق العمل نفسه، وأرى إنه يمكنهم المساعدة فى هذه الحالة الإنسانية. يا له من زميل مخلص، خوسيه مارتى، كما كان خلال الامتحانات هل تذكر؟ نهايته... تحيات حارة وأرجو أن يتحمل حل تلك الأزمة سريعاً، وهذا ما اعتقده، ففى كل المشاكل هناك بعض الخسائر، يا زميلى، وأنا أقف خلفك بكل ما أملك.

• • •

مدريد فى ٢٥ يوليو ١٩٩٥  
السيدة/ إلينا بياورتيا  
عن طريق السيد/ طالب  
جامعة صنعاء  
كلية الفنون - صنعاء - اليمن  
من السيدة / زوجة السيد تريجال  
شارع سيرانو رقم ٢٢

عزيزتى إلينا

اكتب إليك هذه الكلمات وأنا متأكدة اننى كنت جزءا من الأسباب التى أدت إلى هذه المشاكل. فى الحقيقة أنا أحب زوجى وتلك الصورة التى التقطت لى مع «رايموند» ما هى إلا مسألة بلهاء. اطلب منك العفو وارجو أن تعودى . «رايموند» يحبك وأنا متأكدة أنك سيدة حياته الوحيدة أبعت إليك بتحياتى.

توئى

زوجة تريجال

• • •

إلى إلينا بياورتيا  
من كارلوس بوتاس  
بالتيس/ مدريد  
عن طريق السيد/ طالب  
جامعة صنعاء  
كلية الفنون

إلينا:

إننى فى حاجة إلى أن تعودى أنا على استعداد للانفصال من زوجتى لو كانت هذه رغبتك. أن أترك إسبانيا، أن أترك العالم كله لأذهب خلفك. أنا لا أصدق ما يؤكدك

الجميع. إنك لا تفكرين في العودة بعد الجحيم الذي مررت به، والذي خضناه معا خلال الأشهر الأخيرة. أنا لا استطيع العيش بدونك - ولا يهمنى أن يعرف زوجك هذا ولا الفضيحة التي يسببها لي. أنا أعرف إنه كان مريحا لي أن أعيش حكاية جميلة خلال العمل معك وبعدها لم أكن أهتم بما يحدث لكنى أصبحت مسختنقا بالرومانتيكية. لو كان الأمر يحتاج فإننى على استعداد للذهاب والعيش معك وهذا ليس مجرد كلام وهمى، لا تمذبينى بإنهاء تلك الحكاية الجميلة إننى أفكر فيك عبر كل هذه الكيلو مترات إضافة إلى أننى غير مقتنع بحكاية انهماكك فى العمل، اغضرى لى إن كنت أقول لك إنه مجرد علاج بالانشغال. أنت تعلمين كثيرا لأنك مهمومة وهذا اتفهمه جيدا وأريد أن أبذل كل جهدى لتجنب هذا، أحبك، يدهشك هذا، اعتقدك، سأتبعك حتى نهاية العالم.

كارلوس

• • •

عدن فى ٢٩ يوليو ١٩٩٥

السيد / راييموندو بينادو

تليفاكس ٣٣٣٥٥٥٥

عن طريق الدافع المسبق لحساب خيلديسا

من إلينا بياوروتيا.

هندق شيراتون - عدن ١٣١٢

راى، توقف من فضلك عن مطاردتى. أنا فى حالة لا تتصورها بعد أن فكرت كثيرا قبل اتخاذ قرارى وبعد أن أمضيت نصف حياتى دون أن أتمكن من البوح به ولا حتى تنفيذ هذا القرار. لقد سلمت وأنا أفكر فى ترك حياتى الزوجية من رجل مهم لمدى الحياة، لقد سلمت سماع الحوارات عن مباريات ريال مدريد، وحفلات العشاء الكثيرة كل يوم جمعة فى بيت دافيفير ديل باليى وريبييتيسا، وحضور حفلات الافتتاح من مقعد فى الصف السابع (مهما كانت أهمية ذلك) فى المسرح الإسباني. وحفلات العشاء مع ذلك القطيع من رجال المال المتعاصرين، وسياسى الموجة الجديدة دون أن أتمكن من التفرغ لأجبارى، وأن أمارس مهنتى، والحصول على أنواع من الأحجار الأرميلة من مواطنها

الفارسية. أنا لست على استعداد لتترك أى من أحجار الكوارتز التى حصلت عليها مقابل أى من نصالاتك الوطنية، مع تلك السيدة تريجال، فى مكتبك ومكالماتها التليفونية الهامسة لميدة من طبقة منحطة وأنا أسمعك وانت تبدو كتلاميذ يلصق اذنه إلى التليفون. أما عن خططى يمكننى أن أخبرك بالقليل، لأننى لا أعرف بعد ما الذى سافعله هنا ساقى هنا حتى سبتمبر على الأقل لأفكر فى حياته لآخر مرة، وهذا يمنحنى قوة لا تتخيلها. أرجو ألا تفكر فى إرسال أى شخص من شركتك ليتجسس على فى الطريق ولا أى من أصدقائك فى السلك الدبلوماسى ولا الصليب الأحمر لأننى ساعيتها سألجا إلى منظمة العفو الدولية أو منظمات حقوق الإنسان. انزعاجك من أجلى يشعرنى بالأشمئزاز فى هذا البلد «البربرى» الذى يمكنه أن يلحق بلادنا المسمومة بالحروب والمؤامرات والتطلعات البائسة، ويخيم عليها الجهل الإجرامى، دروساً فى النقاء، وانت، متسلق الحداثة، فقد فعلت برخيديسا، وبببتك ما أردت بملء إرادتك، لذلك أنت لا تملك الحق فى أن تطلب منى العودة أنت المقنع بقناع الحمل لا أعرفك وأهددك وأتحداك. دعنى أبحث عن سلام نفسى . عليك أن تهتم برخيديسا، واسمع لـ «أورو»، أن تتحدث مع أبوى مباشرة لتخبرهم عن حالتى وخططى. إلى اللقاء.

عافقك.

إلينا

(مرهق رسالة لأبنائى)

أعزائى «أورو»، «أليو»،

بعد أن تحدثت معكما تليفونيا لا أعتقد أن لدى أشياء مهمة يمكننى أن أطلعكما عليها أرجو أن أستطيع ذلك بعد إن انتهى من البقاء الحقيقى هنا لننتظر ما يحدث لكنى أعتقد أننى فى حاجة إلى بعض الوقت فى مكان بعيد (تخيلا هذا)، أمام شواطئ (إثيوبيا) حيث على أن أبدأ من الصفر وهو ما يمكن أن يكون صحيا جدا .

حاولا أن يقوم أحد بتهدة حياة «بالتيس» لدى الحق فى البقاء هنا إضافة إلى الأجازه . إضافة إلى إننى بعثت الاتفاقيات فى الحقيقة الدبلوماسية. إذ لم يمكن «سالتيناس» من حل هذه المسألة فهذا سيكون لأنه ببساطة يريد أن يثير حنقى وينتهز الفرصة ليضع أحد أذنابه مكانى.

سأحاول الحصول على مكان للعمل على المظاهر الجيولوجية خلال هذا الصيف

بالقرب من مكان يمكننى من إقامة معمل. عندها سأكتب فى الحال لكل منكما رسالة طويلة جدا. الشيء الوحيد الذى أريد أن أخبركما به الآن هو: لقد عثرت فى اليمن كما تعرفان على مكان يقع بالقرب من الجنة، إنه حجر دكاوث، زاوية الأرض، الذى كنت أبحث عنه خلال نصف حياتى ولم أعر عليه أبدا فى العمل فكان على أن اقنع بكل الأنواع التى تقربنى منه، كما يحدث مع الأشخاص الذى يحلمون. أنتما تعرفان السبب، الآن، ليهتم كل منكما بعمله. لا تنزعجا واعتادا على إنه يجب أن أحقق جزءا من ذاتى، حتى لو كان فى عمري هذا. لكما كل إعزاز أمكما.

إلينا

• • •

صنعاء فى ٣٠ من يوليو ١٩٩٥

إلى سارا ستانلى

موارثين ١٤ الطابق الثانى يسار

٢٨٠١٢ - مدريد

من أ.أ. طالب

جامعة صنعاء

كلية الضنون

صنعاء اليمن

عزيزتى «سارا»

فقط أرسل لك هذه الكلمات لأشكرك لأننى استطعت أن أعرف أخبارك، حتى لو كان السبب فى هذا شخص وموضوع متضمنين فى هذه الرسالة، عندما التقينا فى القاهرة تحدثنا بهدوء، والآن سأحاول أن أتحدث مباشرة عن ذلك الموضوع الذى يزعجك ويزعج أصدقائك.

ربما لن تصدقنى فإن «إلينا بياوروتيا» عثرت على شيء كانت تبحث عنه منذ زمن بعيد، إنه حجرها دكاوث، إنه نوع غريب من الأحجار كان معروفا فى القرون الوسطى. أرجوكم يا «سارا» ألا تفكرى بأشياء سيئة عن صديقتنا، وحجر دكاوث، ليس شخصا يمتنيا قوى البنيان وملئ بالشعر فى صدره يؤكد لك هذا، مهما كان ما يحدث مع الإنسان فى عمر





محمد  
الهندي

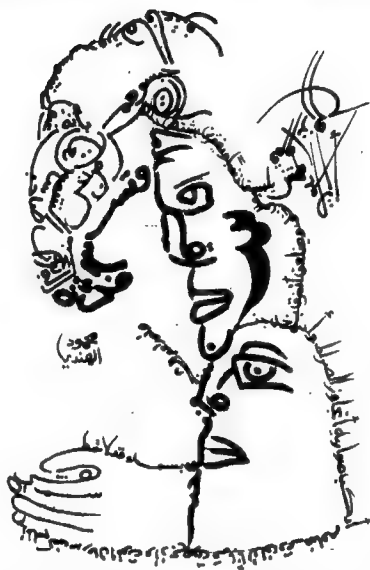
«إلينا، خلال مرورهم بمرحلة منتصف العمر من انفصال ومحاولة بناء الحياة التي حلموا بها، بل أكد لك أنها عثرت على حجر من الزجاج الملحي والبارد الذي يطرد الكوابيس، والذكريات الأليمة، والإحساس بالاشمئزاز والجفاف خاصة عند النساء اللواتي مررن بحكايات مشابهة لتلك التي مرت بها هي. لقد جربته مع نفسها في أول ليلة أمضتها هنا وأنا كنت شاهداً على تحولات حالتها. لقد عثرت عليه تحت برج مبنى من الطوب في وسط المدينة القديمة بعد أن اضطرت إلى عبور النهر الذي يمر على حافتها، وهو أمر مفهوم. وضعته بعد منتصف الليل تحت مخدتها (إنه على شكل ويحجم اللوزة ويقبل التحول إلى هذا الشكل) ووضعت حافته المديبة باتجاه الخارج وكانت ذبذباته وراء اتخاذها أهم قرار في حياتها دون تأثير خارجي: أن تكون هي لأول مرة في حياتها وأن تعثر على صوتها في عزلتها. سأقص عليك الباقي في الرسالة القادمة لكن حتى ذلك الوقت أقول لك أن صديقك «إلينا» أمامها حياة لم تنتبه إلى أنها تمتلكها، فقط لحظة واحدة، فقد كانت صنعاء المكان واللحظة اللتين تقاطعتا مع أول محاولة لما ستكون عليه حياتها المستقبلية. ربما يكون هناك بعض الأشخاص الذين ليسوا في حاجة إلى الهروب بعيداً عن روتين حياتهم ليعثروا على أنفسهم. ولكن هنالك آخرين في حاجة إلى صدمة خاصة، وهم في حاجة إلى الابتعاد فقط، ليروا الآخر في المرأة أن يروا في المرأة الغريب، أن يروا وجوههم الحقيقية. «إلينا»، بفضل العثور على حجر، كاوث، توقفت لتأمل في هدوء، لكل هذا أرجو منك أن تعلن لهذه المجموعة المزعجة التي تملأ صندوق بريدي بالرسائل المختلفة الموجهة إلى «إلينا» بياوروتيا، أن يوفروا بكاءهم ودمواتهم لاحتفالتهم العائلية العريضة، ألا يسألوا عن أي شيء حتى ليلة الاحتفال بعيد «القديسين الأبرياء»، في تلك الليلة التي سأقدمها لهم فيها، وهذا آخر أمر أصدرته في تلك المرأة الجميلة المرتعبة. كان الله في عونكم وعوننا.

صديقك..

على أحمد طالب

### هوامش

١ - الكاتبة الإسبانية هاني روائية وشاعرة وكاتبة قصة إضافة إلى ممارستها النقد في الصحافة الأدبية وتقوم بتدريسه بالجامعة حيث تعمل أستاذة لفقہ اللغة بجامعة كومبلوتنسي بمدريد، وتتولى حالياً منصب مدير معهد ثرفانتيس في روما بإيطاليا،



وقد صدرت لها أعمال عديدة منها روايات: ملح الشيكولاته ١٩٩٢، الإله التائم ١٩٩٥، ابن الهواء ١٩٩٨، وهذه القصة كتبتها خلال زيارتها لليمن عام ١٩٩٥ للمشاركة في الملتقى الشعري العربي الإسباني الأول في صنعاء، وصدرت في كتاب: نيران شتائية تحت كباري مدريد ٢٠٠٦.

٢- حجر كريم له مفعول سحري على حركة الجسد وذكره القونسو العاشر في كتابه

"Lapidario medioval"

الذي استقت الكاتبة اسم الحجر منه.

## رؤية حضارية للدين أحد مكونات المشروع الثقافي الوطني

أبو العز الحريري

يدور حوار عن مد سياسي لمذاهب سياسية تنسب نفسها للأديان خاصة الدين الإسلامي وتهبط بالوحي المقدس إلى ساحة الصراعات السياسية والمصالح الاقتصادية والاجتماعية المتعارضة فتحول الدين إلى سياسة، وترفع السياسة إلى مرتبة الدين الوحي المقدس.

بداية - فإن المد والجذر ينصب على موقف المذهبيين، لأن الدين ثابت والمتغير هم البشر وظروف الحياة ومتطلباتها واليسار يدرك جوهر رسالات السماء هي التوحيد والنماء والعدالة والمساواة، بقدر امتلاكه رؤى علمية تجعل تحقيق ذلك ممكناً ويرى أن ضمان عدم الانحراف بالجانب الدعوى الديني يوجب تولى الأزهر والأوقاف والكنيسة في الديانة المسيحية، مهام الدعوة، تعبيراً عن إرادة الأمة ورؤيتها المذهبية الوسطية للدين (التفقه في الدين).

### المواطنة

أساس كل الحريات والحقوق والواجبات بالاتساق معها تستمد الرؤى مشروعيتها، فالمواطنة علاقة بين الفرد والدولة، يحددها قانون الدولة وبما تتضمنه العلاقة من واجبات وحقوق متبادلة فكل الرؤى تنبع منها وتصب فيها فهي وحدة الانتماء والولاء من قبل كل المصريين على اختلاف تنوعهم الديني والمذهبي. وتذيب كل خلافاتهم

واختلافاتهم عند حدود المشاركة والتعاون في بناء مصر وتنميتها والحفاظ على العيش المشترك فيها.

فالمواطنة هي المساواة القانونية والواقعية الكاملة لجميع المواطنين في إدارة شئون المجتمع والتمتع بما فيه من حقوق وأداء ما يفرض من واجبات دون تمييز بسبب النوع أو الدين أو اللون أو العرق أو الوضع الطبقي فهي تدور حول قيم.. المساواة والمشاركة والحرية والمسئولية.

في ظلها يمتلك المواطن حقوقاً غير قابلة للأخذ أو الاعتداء عليها من الدولة، أو من أغلبية لوقاريت الإجماع المستحيل، إنها حقوق مدنية تتعلق بالمساواة مع الآخرين وحقوق سياسية تتعلق بالمشاركة في اتخاذ القرار السياسي وحقوق ترتبط بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، هي تأكيد الحق الفردي لكل أبناء الوطن في تقرير مصير الوطن والتمتع بكل خيراته في الداخل والخارج والدفاع عنه.. هي حق شخصي لا تجوز الإنابة فيه لأى سبب.

### المهام الأساسية للسياسة والسياسيين

تركزت في التحرر الوطني والاقتصادي والاجتماعي، تحقيقاً للتنمية والعدالة والمساواة، وهي قضية ركزت عليها رسالات السماء كقضية تاركة للناس اختيار أساليب تحقيقها. ولعل التساؤل تمتد جذوره إلى قرن مضى حيث استخدم الفقه أو المذهبية بمعنى تأويل النص الديني خارج سياقه.. للتحكم في البشر مما عطل الحياة وزاد من المظالم باسم الدين. تجسد ذلك في أوروبا قبل نهضتها التي بدأت بالإصلاح الديني بإبعاد تحكم رجال الدين في أمور الحياة. وبالتحول من النظام الإقطاعي للنظام الرأسمالي. بالمظالم الإنسانية التي صاوبته وذهفت بالكثيرين من المستنيرين ورجال الدين لتحديد مضمون الاستغلال وسبل مواجهته. ونشوء اليسار تعبيراً عن مصالح الأغلبية الشعبية ونمو المعارف والعلوم الإنسانية والتطبيقية.

### الديمقراطية والعلمانية

تستهدفان تخليص الدين من المنافسات والصراعات البشرية والمصالح النسبية، وفي نفس الوقت تخليص المنافسة والصراعات البشرية والمصالح النسبية المتغيرة من تحكم

أصحاب المذاهب الفقهية، لتكون المنافسات والصراعات أكثر فاعلية وأقل حدة وأوسع مشاركة من الجميع وتحقق التعددية والعقلانية والديمقراطية، الديمقراطية هي الوسيلة التي تدار بها المجتمعات فكل نظام ديمقراطى هو بالضرورة نظام علمانى. وليس كل نظام علمانى ديمقراطى بالضرورة. فالعلمانية تعددية وتتنوع عقلاً فى الرؤى والأفكار. ديمقراطية فى إدارة التنوع والخلاف بما يؤدي إلى التسامح والتعايش والنسبية فى العلاقات بين البشر ويوسع مجالات التماس والتواصل والخطاب المشترك مع الآخرين إنطلاقاً من عقلانية الرؤى والأفكار إيماناً بنسبية الحقيقة وحاجة كل منا للآخر إقراراً بأن الناس متنوعين متباينين فى القدرات والمشاعر والأفكار والمصالح، بما يبعد المجتمع عن العنف والحقد والضعفة لتحقيق التقدم والرخاء.

والهدف العام: أى كانت نسبية وتنوع الرؤى للعلمانية والديمقراطية، هو تحرير الإنسان المصرى وتمكينه بالتعددية والتنوع الخلاق الذى يثرى النسيج المصرى، ويمتعه بنعمة العقل دون قيود تضيق نشاطه وإبداعاته متحصناً بالديمقراطية كوسيلة، أثبتت التجربة الإنسانية نجاحها فى إدارة الاختلاف واتخاذ القرار، والتحرر من سلطة الماضى فى الوقت نفسه خبرات الماضى والتعامل مع كل الماضى، والخبرات البشرية للمعرفة والعظمة دون الاتباع الأعمى بذلك نتمكن من تقديم رؤية مستقبلية يستفاد فيها من سمات العصر ومقدراته استعادة لدورنا فى صنع الحضارية الإنسانية.

### عالمية المرجعيات، الأخلاقية، والعلمية

عالمية المرجعية الأخلاقية: تمثل الأديان، الإسلامية بالنسبة للمسلمين والمسيحية للمسيحيين واليهودية لليهود... إلخ جانباً أساسياً فى المرجعية الأخلاقية، ويقدر توحيد المرجعيات الثلاث فى التوحيد الإيمانى، فإنها تتكامل فى الأخلاقيات البشرية، بقدر التقارب فى المصالح وتبادل الخبرات والمصير المشترك، والتفاعل الطويل المدى للحضارات الإنسانية، وصولاً إلى مفاهيمها وصياغاتها الحائية، ومواثيق وقوانين موحدة عالمياً ومواثيق الأمم المتحدة وعهودها واتفاقياتها ومنظمتها والاتفاقات الدولية الثنائية والجماعية والإقليمية ومنظمات الشعوب، فأصبحت المرجعية الأخلاقية العالمية أمراً واقعاً يتزايد بإسهامات البشرية بالحدف والإضافة.

وعالمية المرجعية العلمية ترتبط خبرات الحياة وعلومها الإنسانية والتطبيقية بسمى

الإنسان أياً كان موطنه ومعتقداته للتكامل بشرى.. ويكونها نتاج البشر فهي عالمية لا تنتمي إلى موطن أو دين أو عرق.. تكونت من حضارات فرعونية، إغريقية، يونانية، صينية، رومانية، مسيحية، إسلامية، أوروبية جامعة.. تتزايد إندماجاً لتكون حضارة عالمية.. متكاملة التكوين الأخلاقي والعلمي وهي بعالميتها أساس للنمو والتقدم والعدالة والمساواة الإنسانية في مواجهة عوثة تستهدف تمكين الاستعمار والاحتكار من الهيمنة على الشعوب الأقل تقدماً وحرية وحرراً.

ومن الخطأ أن يوضع العلم نقيضاً للدين فلكل مجاله، الدين هداية وعبادة وتوحيد، والعلم الإنساني والتطبيقي وسيلة البشر لجعل الحياة أفضل، والعلمانية تعنى استخدام العلم وخبرات الحياة التي صاغتها الشعوب في علومها ومعارفها الهائلة في مواثيق الأمم المتحدة واتفاقياتها وعهودها والإدارة المشتركة للعالم التي تتزايد يوماً بعد يوم لتصبح أكثر خيراً للمتقدمين وقارب النجاة للأقل تقدماً وفي الوقت نفسه استبعاد تحكم المذاهب في الحياة باسم الدين.

### مفاهيم مغلوطة

الدولة الدينية، مصطلح وهمي مخادع منسوب خطأ للإسلام أو المسيحية أو اليهودية وهو مرادف لمصطلح الإسلام هو الحل، أو المرجعية الدينية بديلاً للعلم في شؤون الحياة البعض تحمس للمصطلحات مع أن الدولة الدينية أي التي تنظمها السماء بشكل مباشر لم ولن تقوم في التاريخ فالوحي للأنبياء بخصوص الدين والبشر ينظمون دولتهم دراية بأمور زمانهم ومكانهم في تشابك مع الآخرين الدول الأخرى، والدول تنسب للبشر من مؤسسيها ومنظميها وتأخذ الصفة الاقتصادية والاجتماعية التي تبني عليها رأسمالية، اشتراكية بجانب مسحتها، ديمقراطية، استبدادية، نازية، فاشية أو مناهية بما فيها الدول التي تحكم فيها أرباب المذاهب الدينية (المتفقهين بالصح أو الخطأ في الدين) الذين مارسوا التحكم البشري في الشعوب. خطأ باسم الدين، فالدولة نظام يضعه البشر، والأزمة الأخيرة نتجت عن أخطاء وخطايا أصحاب المذاهب، والفقه الديني وهنا تبرز أهمية التجديد .

.. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (يبعث الله على رأس كل قرن من يجدد للأمة دينها، أي رؤاها الفقهية للدين بما يصحح الفهم للإنسان مع صحيح الدين ويبعده

عن الهبوط إلى ساحة السياسة أو أن يرفع السياسة إلى قدسية الدين الوحي.. والإبعاد هنا ينصب على تحكم أصحاب المذاهب، دون إبعاد التوجهات والمقاصد الكلية للدين، كأحد مكونات الثقافة الكلية للناس الذين هم أعلم بأمور دنياهم، بحصيلة العلم النسبي المتجدد، ثمرة الخبرة البشرية المتجددة المتداخلة إنه فقه الحياة، علم عالمي.. ليس إسلامي أو مسيحي.. إنه وسيلة لحل مشاكل الزراعة والصناعة والعلاج والإسكان والتجارة.. الخ. والأخذ بالعلم ضرورة حياة وواجب ديني فالدين بغير العلم أعمى والعلم بغير الدين أعرج العلم يطلب من المهد إلى اللحد ولو في الصين ومداد العلماء أثقل وزناً عند الله من دم الشهداء.

### مفاهيم ومغالطات

جماعة الإخوان السياسيين.. هي جماعة سياسية، أي حزب سياسي انصبت مساعيها الحقيقية على الممارسة السياسية التي تهتم بإدارة عموم الوطن، السياسات والبرامج العامة والمحلية والتنوعية زراعة، صناعة، تعليم لحل مشاكل الناس بهدف أن تستقطب الظالمين والمظلومين فتوحدت مع الطبقة الحاكمة قبل الثورة ويعد فترة الثورة حيث توحدت مع السادات ومبارك وواصلت عداها للأغلبية الشعبية والقوى التي يدافع عنها الاشتراكيون والناصرين والديمقراطيون والليبراليون والمستنيريون.

تغليب السياسة على الدعوة: تتكاثر الجماعات المذهبية التي تنفقه في الدين حسب رؤية ومفاهيم ومصالح فقهاءها أو مرشديها أو أمرائها وآياتها وتسقط رؤيتها للدين على القضايا الحياتية بما تحمله هذه الرؤية من خطأ وصواب، فأنحرفت بمجال الدعوة لصحيح الدين وهبطت بالوحي المقدس إلى دنيا السياسة، وتشهد مصر وغيرها صراعات تتزايد سخونتها بين أنصار هذه الجماعات المذهبية، وجماعة الإخوان تعتبر أن صحيح الدين والتدين ينحصر في رؤيتها للدين الذي يتمثل في أتباعها فقط وباقي المسلمين، إسلامهم غير صحيح.. ولهذا رفضت مبدأ المواطنة.. مبدأ المساواة حتى بين المسلمين المصريين، أما غير المسلمين فعليهم الجزية حيث تعتبرهم غير مواطنين وغير مسلمين.

للحالة جذورها.. منذ نشأت جماعة الإخوان كأحدى تجليات الردة على الاجتهاد الفقهي المستنير ورموزه الشوامخ.. بن خلدون، بن رشد، الطهطاوي، محمد عبده،



شللت، عبد الحليم محمود فاصطبغت رؤيتها الفقهية بالاستبعاد لغيرها والعنف لإجبار المجتمع على الخضوع لرؤيتها المذهبية والسياسية الأمر الذى أدى بها للتحالف مع القصر وحزب الأقلية ضد الأغلبية الشعبية وحزبها قبل الثورة، ومعاداة الثورة، والتحالف مع السادات بعدها.. وصراعها الحالى مع النظام من أجل كراسى الحكم للاستمرار بنفس النظام الذى أقامت أسسه مع السادات وأيدت مبارك فيه بمجلس الشعب ٨٤، ٨٧، ومن ٢٠٠٠ حتى الآن.

### مفاهيم مغلوطة:

جماعات دينية، بل جماعات مذهبية دعوية فقط، أو مذهبية سياسية، الدين رسالة ومن الخطأ أن تنسب الجماعات لنفسها، بل تنسب نفسها إليه، جماعة مسلمة أو مسيحية أو يهودية.. فالدين رسالة لكل الناس باختلاف أوطانهم وأزمنتهم ومذاهبهم ومصالحهم.. الدين وحى مطلق عام، ثابت، يؤخذ منه ولا يرد عليه أما أى فرد أو جماعة فيؤخذ عنها ويرد عليه، فاجتهادهم ليس وحياً وهم ليسوا بأنبياء.

### الجماعة الإسلامية:

ليست كل المسلمين بل جماعة منهم.. لا ينحصر فيهم الإسلام والرسول بشر مبلفين برسالات الله بالوحى فهم البشر الرسول وليسوا صلوات الله عليهم الدين الرسالة، وأى جماعة.. هى جماعة مسلمة أو مسيحية أو يهودى.. وكذلك الجماعة الدينية.. أما جماعات الدعوة والجهاد فهى أسماء يمكن وصفها على أصحابها لأنها تعبر عن خدمتهم للدين والتدينين.

### التيار الإسلامى:

بل تيار من مسلمين، يعلم الله مدى صحة إسلامهم ويصرف إخوانهم المواطنين وغيرهم مدى صحة رؤاهم المذهبية للدين وسياساتهم لمعالجة أمور الناس، فهم ليسوا تياراً إسلامياً لأن الدين يظل كل لا يتجزأ ولا ينسب لأحد بل ينسب للناس إليه تيار مسلمين أو مسيحيين أو..

### السلفية:

نسبة إلى ما سلف.. من بشر فى رؤاهم المذهبية للدين أو الاقتصاد أو الاجتماع أو

العلم أو السياسة، وفيما عدا السيرة الذاتية الجماعية الطيبة والتراث الإيجابي في القيم والأخلاقيات.. التي تتزايد إيجابياتها بإضافات التابعين المستنيرين في أمور الحياة.. بما ينعكس على حسن رؤيتهم المذهبية للدين، فيما يعرف بالتجديد الديني، أي تجديد الفهم للدين، وتحديد المعارف الإنسانية والعلمية فإن إضافات البشر في كل هذه المجالات تتواصل، أما قصر الصلاح والصلاحية فيما سلف فهو منطق ضد الدين والدنيا.

### وسطية الأزهر:

تنقذنا من الغلو والانحراف بالدين ومن استخدامه لتبرير السياسات المتعارضة للبشر لأكثر من ألف عام.. حمل الأزهر الشريف رسالة الدعوة في وسطية تجمع ولا تفرق فاستحق أن يكون وأن يظل منارة للمسلمين لا يجب السماح للجماعات المذهبية أن تنازعه دوره، مغبة الانحراف بالفهم الإسلامي وتفرق المسلمين شيع وجماعات وصراعات ولا يجب أن تنحرف الجماعات الخيرية إلى مجال الدعوة والسياسة والا يفرق الأزهر بين هذه الجماعات فتنتكس الأمة بأكثر مما وصلت إليه.

### الإسلام السياسي:

بل سياسيون مسلمون، فالإسلام الرسالة هداية للبشر وتوجهات ومقاصد في كليتها تكون الحوافز الجيدة لدى الإنسان بجانب التوحيد والعبادة، أن يسعى لعمران الأرض كي تستمر حياته وأن يتصف بالصفات الجيدة، وأن يسعى إلى العلم ويتبادل الخبرات مع البشر لعمران الأرض وتحقيق سعادة الأحياء والقادمين إلى الحياة.

### حزب التجمع والدين

وضع التجمع برنامجاً سياسياً عام ١٩٧٦ لعلاج مشاكل الوطن.. وعلى أساسه أصدر برامج النوعية وتطور برنامجه وصولاً إلى برنامج المشاركة الشعبية وبرامج تتضمن حلول لمشاكل الزراعة والصناعة والتعليم والعلاج.. إلخ وموقف التجمع واضح من الأديان.. فهو يلتزم بالدستور ومواثيق حقوق الإنسان كمرجعية أساسية بكل ما تتضمنه بما فيها التوجهات الدينية المحفزة على التنمية والعدالة والمساواة وكفالة



الحقوق والحريات... فحزب التجمع .. يعلى من شأن الأديان كطاقة خلاقة تسهم فى تنمية السلوك السوى لصالح الإنسان. ويرى أن القيم الدينية الصحيحة التى يستمدّها الإنسان من الدين قد صارت جزءاً لا يتجزأ من تراثنا الحضارى، فأصبحت قوة كبرى دافعة لجهاد الإنسان والجماهير نحو حياة أفضل.. ذلك تراث المسيحيين قبل الإسلام وتراث المسلمين والمسيحيين بعد الإسلام.. واليسار فهم مبادئها باعتبارهما صورة من صور العبقريّة، فى إطار التعاليم الكلية والمبادئ العامة للدين أضافت للأمة عبر تاريخها فى فترات الزهو. صفحات مشرقة ورائدة، فى التراث الإنسانى كله لما فيه من المثل العليا والمبادئ السامية والقيمة الإنسانية، كنوز لازالت صالحة للعطاء والاقتداء والاستلهام، فى التشريع والديمقراطية والتفكير وإعلاء شأن العقل وفى تقدير دور العلم والعلماء مجتهدين ومبتكرين ، واحترام الخبرة الإنسانية والحث على طلب العلم والمعرفة ورفض التقليد الأعمى، وفى حرية العقيدة واحترام الرأى، وتحرير الضمير من الخوف والإرهاب الفكرى، والجمود العقلى وفى مقاومة الظلم والفساد والإنحراف وفى رفض السيطرة الأجنبية والاستعمار وفى تدعيم الوحدة الوطنية على أساس المواطنة المتكافئة للمواطنين وإدانة التعصب والطائفية، وحرمة تكفير المسلم وفى تأكيد وحدة الأخاء الإنسانى والسلام العالمى وحق تقرير المصير.. والنهى عن اكتناز الثروة أو تهريبها والقضاء على التفاوت الفاحش بين الناس وإقرار وحماية الملكية العامة وإعلاء شأن العمل كمعيار وحيد للقيم والمساواة بين الرجل والمرأة فى القيمة الإنسانية وفى جزاء الأعمال والسلام الاجتماعى المرتكز بالعدل الاجتماعى والدعوة إلى تحصيل العلم واستخدامه واحترام التخصص والخبرة الإنسانية وذلك فهمه أيضاً لدور المؤسسات الرسمية الدينية (الإسلامية والمسيحية) ولقد تبلورت هذه الرؤيا خاصة فى مواجهة الغزو المذهبى المتزايد منذ أواسط السبعينيات، بمضمون يؤدى إلى تحويل الإسلام بعكس ما أراد الله إلى مجرد شكل ومظهر أو طقس يخلو من المعانى والقيم النبيلة، ويختزل الإسلام فى جلباب ولحية وسواك، وتكفير لدى البعض بينما يفض المذهبيون الطرف جهلاً أو قصداً بل ويشاركون فى الغش والتدليس والفساد والاستبداد السياسى والاحتكار الربوى وركوب الديمقراطية للتفرد بالحكم بعد خداع الناس، والعنف الذى يفرسون كل مقوماته الفكرية بما يحوله إلى سلوك اختياري لبسطاء ارتكبوا جرائم بلا حصن متصورين أن جرائمهم استشهد، لا يغنى

عن جرمهم اعترافهم بأنهم كانوا قتلة وليسوا مجاهدين.

وحزب التجمع بما يضمنه تكوينه من القوى الاشتراكية والتقدمية والقومية والديمقراطية.. أى كل ألوان الطيف الوطنى التقدمى لم يكن يوماً محايداً مع الدين بل حمل رسالته بفهم مستنير لرسالته قابضاً على الدين والوطن كالتقاط على الجمر. ويسعى متواصلاً وبإصرار لإعمال مضمونه العام قبل، ويعد إنشاء حزب التجمع وهو نفس الموقف ليسار خارج حزب التجمع قبله ومعه، فالأديان طاقة يستعين بها شعبنا كتوجه، للتغلب بالعلم والعمل على حل مشاكله وبناء مجتمعه، وتحقيق الوظيفة الاجتماعية للملكية وتجريم الريا والاستغلال (الاحتكار والأرباح الربوية).

### الرؤيا الحضارية، وأهمية دور الأزهر والأوقاف

التزم الأزهر بوسطية مذهبية هى المذهب السنى الحنفى - بقدر ما يؤدي دوراً للتقريب بين المذاهب وهما قضيتان تحتلان أهمية فى وقتنا حيث يشتمل الصراع بين اصحاب المذاهب خاصة الشيعة والسنة وبين الجماعات المذهبية، داخل المذهب السنى خاصة جماعة الإخوان فى مواجهة المجتمع وباقى الجماعات والجمعيات وحيث يبلغ خريجو الأزهر بمشرات الألوف سنوياً يحملون ثقافات وتراثاً اجتماعياً يحتاج إلى مراجعة والأوقاف تتولى عشرات الألوف من المساجد بأئمتها والعاملين بها وجمعياتها والمتصرفين فى شئونها، مما قد يؤدي إلى كارثة محاولة إقامة دويلات متأسلمة وأخرى منقسمة مذهبية بديلة على أنقاض الدولة المصرية الموحدة، كما تسعى لإدارة الدولة خارج نطاق مشروعيتها الدستورية التى يتم التلاعب بها أيضاً لصالح الحزب الحاكم ، وجماعة الإخوان ، لتقف مصر على شفا كارثة أكبر من كل ما الحق به الاستعمار نتيجة لتحالف السادات والإخوان الممتد برئاسة مبارك لأن.. ذلك وغيره يوجب علينا طرح رؤية حضارية للإسلام.

### التوافق العام

من الأهمية أن يتوافق المصريون على رؤية حضارية للدين وتجمعهم دون غيرها ودون أن نغلق باب الاجتهاد للتجديد التوافقى يضاف إلى مشروع الأزهر بعد إعادة صياغته

ومبدأ التوافق يحقق تلاقى عام ويسد الطريق على تمزيق الأمة رؤية حضارية للدين نقدمها للحوار، وندعو الأزهر والأوقاف والمهتمين والمتخصصين والعاملين بالثقافة والعمل العام للمشاركة في بلورتها هذه الرؤيا تتكون من:

- ١ - رؤية ثقافية واجتماعية عامة التوجه الدينى اساس فيها.
- ٢ - رؤية اقتصادية واجتماعية موضوعية متجددة الدراسة متفاعلة مع تجارب البشرية وهذه بطبيعتها مجال اجتهاد يتفق مع مصالح الساعين لها رؤية انتقائية لكل المذاهب الفقهية والتراث الإنسانى بكل مكوناته، يقدمها كفهم حضارى كمشروع لتجديد المجتمع، يتضمن فهماً جديداً أو صحيحاً لفهم الإسلام فى الوقت المعاصر وهو جهد لإعادة دور الحضارة الإسلامية تهتدى بتوجهات القرآن والسنة ولا ينحرف عن العقيدة الصحيحة.

المشروع يحاول صياغة رؤية حضارية للإسلام فى مقاصده العامة حجر الأساس فيها. لكنه لا يحرم نفسه من كل التراث الإنسانى. ثم وهو الأهم إذ يدعو للأخذ بالعلم يترك البرامج ودراسة الواقع ومعالجاته للعلم والعلماء لتطوير جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويلبى متطلبات الروح ويعالج قضايا الفرد والجماعة.

### مبادئ المشروع

(١) اختيارية الإيمان بالله وتحقيق التقوى وذلك لأن الإيمان بالخالق عامل أساسى لتقوى الله تفضى بالعلم والمعارف إلى جليل الأعمال وأحسن الأخلاق وأعدل العلاقات بين الناس.

(٢) الحكومة العادلة والأمنية: عن طريق الاختيار الحر لنواب الأمة بين كل أبناء الوطن دون قهر أو إكراه، وتعمل على بسط العدل ونصرة المظلومين وردع الظالمين ورد الحقوق إلى أهلها ورعاية مصالح الأفراد على اختلاف معتقداتهم الدينية والمذهبية وقضاء حوائجهم بأمانة وتجرد وإخلاص.

(٣) حرية واستقلال الشعب: باعتبار أن الحرية هى القيمة الكبرى فى الحياة الإنسانية.. وهى الحافز للعمل والإبداع وبها يكون الإنسان مستقلاً وحرّاً فى قراراته وقد خلع عن رقبته طوق العبودية والتبعية.

(٤) التمكن من العلوم والمعارف: فالعلم هو المرتكز، الأساسى لنهضة الأمة والوسيلة

التي يستعان بها على عمارة الأرض وتسخير ما فيها، وترقية الحياة والانتفاع بالطبقات من الرزق.

(٥) التنمية الاقتصادية الشاملة والمتوازنة: التي تعنى التنمية بكامل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية والمادية والثقافية والحضارية، لصالح وسعادة الإنسان غاية وهدفاً لها.

(٦) تحسين نوعية الحياة، وتعنى سلامة الحياة واستقرارها وجودتها، وتوفير متطلباتها الضرورية للمجتمع والفرد.

(٧) حفظ حقوق الأقليات والمرأة، رعاية حقوق الأقليات العرقية والدينية، وكذلك احترام المرأة وتقدير مكانتها وتعزيز دورها الإيجابي في المجتمع.

(٨) الأخلاق الحميدة والقيم الثقافية الفاضلة: العناية بالأخلاق الفاضلة والقيم المعنوية السامية في كل المجالات والجوانب وأن تكون هي الأساس لتربية الأجيال.

(٩) حفظ وحماية البيئة: الحفاظ عليها ومنع ما يهددها من عوامل التلوث والآفات والهلاك.

(١٠) تقوية القدرات الدفاعية للوطن: بالحفاظ على سلامة وحدة أراضي الدولة وحماية المصالح العليا لشمسنا والمحافظة على استقلالها واستعادة دورها القيادي.

### أهمية الرؤية الحضارية

تزداد أهميتها وفي الألفية الثالثة، من أجل المساعدة على الاندماج المحسوب الراعى للمصالح الوطنية في الاقتصاد الحديث، وتصلح كعلاج للتطرف وللغلو في الدين ولأنها تشجع على التسامح والتفاهم والاعتدال والسلام، وهي بلد متعدد الديانة والثقافات. وتهدف لمصلحة الجميع على اختلاف عقائدهم وأديانهم وأعراقهم وتمتع كل أبناء عمه بالمواطنة المتساوية المتكافئة دستوراً أو قانوناً وتطبيقاً بالحسن والإنصاف ليؤدي ذلك إلى الإمتياز والتفوق العام ويكون مصدراً للفخر والاعتزاز لبني الوطن.

### في الرؤية الحضارية

(١) أن يتحلى المجتمع بأفكار الوسطية والمعتدلة التي تساعد على تقوية بناء الأمة والدولة.

- ٢) قوامه الأخلاق الفاضلة حتى يكون قدوة للأمة كلها وللناس جميعاً.
- ٣) يتصف بالمسئولية والجدية فى تأدية دوره وواجباته.
- ٤) تكون قيمة العلاقات بين أفراد المجتمع مترابطة، وتقوم على الثقة والأخلاق الفاضلة.
- ٥) يتصف بالنظام ويحترم سيادة وحكم القانون.
- ٦) متحد الكلمة ومتعاون ومتكامل فيما بينه.
- ٧) تهتدى الدولة بتعاليم الإسلام الحقيقى وتحقق مقاصد الشرائع السماوية.
- ٨) تكون الدولة رائدة وقائدة وليست تابعة أو ذليلة.

### مظاهر الرؤية الحضارية وعناصرها

العالمية: لأنه يستمد روحه ومقاصده من الدين الإسلامى الذى هو رسالة للناس كافة ورحمة للعالمين.

الريانية: حيث مصدره الأساسى وحى الخالق العظيم ويتبنى ربط الناس بالله رب العالمين، فهي دعوة ريانية الغاية والهدف، كما هي ريانية المصدر والمنطلق، بشرية الفهم والمسئولية والنتائج.

الأخلاقية: فالأخلاق الفاضلة التى تفضى إلى سلوك رشيد وعلاقات طيبة بين البشر هي أبرز ما تدعو إليه الرؤية الحضارية.

التسامح: من أجل مجتمع يسوده الاستقرار والسلام والتعاون والتكامل بين أبنائه بجميع معتقداتهم وتفهم الآخرين واحترام اختياراتهم العقيدية والثقافية.

### سمات الرؤية الحضارية

التكامل: تتكامل فيه معارف البشر بالوحى مع علوم العصر، وتتكامل فيه الجهود من حيث تناوله لشئون الفرد والمجتمع والدولة.

الوسطية: تقوم الرؤية الحضارية على الاعتدال فى منهجه واليسر فى طريقة تطبيقه ومن خلال ذلك يكون التوازن بين مصلحة الأفراد ومصلحة الجماعة، والتوازن بين متطلبات الروح والمادة وبين المذال والواقع المتداخل محلياً وعالمياً.

التكافؤ: من حيث مادته كتوجه يغطى جميع المجالات وتهتم بمستويات مختلفة كما



تستوعب المتغيرات، وتأخذ من التجارب والحكم البشرية النافعة والصالحة. الإنسانية: بمعنى أن رسالته موجهة إلى الإنسان. وتهدف إلى رعاية مصالحه الضرورية والأساسية والتحسينية. وجميع حقوقه الأساسية، وحفظ دينه وعقله ونسله وعرضه وماله.

### عناصر الرؤية الحضارية

(١) التعليم الشامل: الذى يجمع بين معارف الوحي وعلوم العصر، ويفعل فروض الكفاية والأعيان ويؤدى واجبات الوقت دون تقصير.

(٢) الإدارة الجيدة: التى تحسن إدارة الموارد البشرية والمادية التوظيف والاستخدام الأمثل لها.

(٣) التجديد فى الحياة: بمعنى ترقية أساليبها من ناحية التمدن والحضارة. زيادة جودة الحياة، وتوفير متطلبات الحياة الكريمة على أجود هيئة وأكمل حالة. قوة الشخصية: من حيث الإخلاص والأمانة المستنيرة، فالإخلاص أساس الأقوال والأعمال بينما الأمانة عماد المجتمع والدولة، والاستنارة الدينية والمعرفية العامة والعلمية هى بصيرة الإنسان ودون ذلك لا يمكن إيجاد الإنسان الصالح والمجتمع الصالح، وهى أسس تقوم عليها الحضارات ويفيهاها تزول وتغرب. الحيوية والنشاط: من حيث استجابته للمتغيرات وإدراكه لمتطلبات الحياة المتجددة ووسائلها المتشعبة.

الشمول والسعة: يقوم المشروع على الفهم الشمولى للدين ولا يركز على جانب دون الآخر ولا يأخذ بتعاليم الإسلام مجزأة، ويعتبر الإسلام منهج حياة كاملاً فهو عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملة ومبادئ رئيسية للتشريع تتكامل بعلوم ومعارف العصر. العملية والواقعية: لا ينجح إلى المثالية المجردة، فهو منهج عملى واقعى يحد على مراعاة واقع الحياة وطبيعة الإنسان وتفاوت الناس فى استعداداتهم ومداركهم وحاجاتهم ومطالبهم الاستقلالية، وعدم التبعية للأجانب. سواء كانت تبعية فكرية أو ثقافية أو اقتصادية وسياسية.

تعزيز المؤسسة الأسرية: فالأسرة هى اللبنة الأساسية فى المجتمع ومعالجها يصلح المجتمع وتترابط علاقاته وتتوحد مشاعره، يلتزم المجتمع بضمان بدايات مقومات حياة كريمة لكل

أبنائه - تكفل الأساسيات الاقتصادية والاجتماعية وبتزايد تحسينها بالجهد الخاص.

### تحديات تواجه الرؤية الحضارية

هى فى جملتها تحديات داخلية من أبرزها: الجمود والتقليد، حيث يقف تيار الجمود والتقليد عقبة أمام محاولات التجديد والاجتهاد بدعوى الإبقاء على القديم، وإن لم يكن صالحاً لعصرنا وهو تيار يعبر عن نفسه فى الجمود المذهبى (القوالب) والتقليد الفكرى والسلفية فى أمور الحياة.

التطرف: وهو تيار أبرزته المشكلات والاختلال العميق فى المجتمعات المسلمة ويعبر عن نفسه فى حركات التطرف الفكرى والسلوكى، والإرهاب الذى يجلب الكوارث للمسلمين والرهبة والابتعاد عن الدنيا والإنصراف عنها كلية.

أحادية المعرفة: المعرفة الجزئية سواء بالشرع أو الواقع المحلى والعربى والعالمى تؤدى إلى نظرة جزئية للأمور وتحجب عن صاحبها معرفة الأبعاد الحقيقية للقضايا، وبالتالي يكون حكمة قاصراً وعاجزاً عن المعالجة الواقعية فلا بد من المعرفة بالشرع والواقع معاً.

إدارة الوقت: التصدى لإهدار الوقت وعدم إدراك قيمته، كأسباب للفشل والتردى فى الحياة العامة. أن إنزال المشروع على أرض الواقع سوف يستفيد من المقومات والجهود التى تراكمت لدى الأزهر والجماعات ودور العلم وطنياً وعالمياً والمجتهدين المستنيرين فى هذا المجال.

هالصياغة لا تعنى البداية من فراغ بل استمرار عملية التطوير والاستيعاب للأفكار والاجتهادات النافعة والجديدة.. تلبية لمتطلبات الحياة المعاصرة مع الأخذ فى الاعتبار تعدد وجهات النظر والاختلاف مع الآخرين وهو اختلاف يقابل بالحوار وصولاً للتنوع وليس إلى التضاد.. أو الإنفراد والتفرد والاستبعاد ويمكن إثراء الأفكار وتطويرها، شريطة أن يراعى أدب الحوار والاختلاف ولعل الميزة الأساسية فى هذا التصور أنه تصور عام لا يعبر عن مذهب جديد أو فرقة مبتدعة ولا إجبار لأحد على الأخذ به بقدر ما هى مجال للتوافق. يتوافق المجتمع حولها ويدفع بها لما هو أصلح إنها اجتهاد بشرى، وليس وحياً معصوماً، فالاختلاف معها أمر وارد.



### التجمع رؤى عالمية مشتركة:

تلك الرؤية الحضارية الثقافية للدين.. بقدر ما هي انعكاس لجوهر الأديان الدافعة للتقدم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فهي من مكونات المرجعية الأخلاقية والثقافية العالمية التي أصبحت مشتركة بين الشعوب التي تقدمت والشعوب التي حققت طفرة تقدمية كبيرة مثل ماليزيا ودول جنوب شرق آسيا والشعوب الناهضة في أمريكا اللاتينية حيث انتشر لاهوت التحرير متزاوجاً مع عوامل التحرر الوطني والشامل اقتصادياً واجتماعياً وتسمى مجموعات من اتباع الديانات وأرباب المعارف الإنسانية والعلمية لإصدار كود - ميثاق - عالمي يضم المشتركات بين كل الأديان والثقافات والحضارات، يشمل في مجموعه قيماً ومعتقدات وقناعات واتجاهات زمنية وقواسم وتقاليد وأنماط سلوكية وروابط وعلاقات اجتماعية مشتركة يتزايد إقرارها بالتفاعل الإنساني.

إن رؤية التجمع: كما أوردناها من قبل تشمل مقومات الرؤية الحضارية للدين بقدر ما هي إسهام في المشتركات العالمية في القيم والأخلاقيات والعلوم والمعارف.

## «صمت الطواحين»: في الدلتا المصرية

د. محمد برادة

■ الذين قرأوا روايات سابقة لـ يوسف أبو رية مثل «عطش الصبان» و«تل الهوى» و«ليلة عرس».. يتذكرون جيداً حرصه على صنع خريطة دقيقة وتفصيلية لبلدات تقع أساساً في الدلتا، ينحت تضاريسها عبر فضاءات الريف وشخوص يعيشون في مناخ التقاليد الموروثة التي تجعل سلوكياتهم تبدو خارج الزمنية التاريخية، على رغم أن أحداثاً مهمة تتناهى إلى أسماعهم وتلقى بظلالها على مجرى حياتهم.. ومن داخل تلك البلدات المهملة، شبه المنسية، استطاع أبو رية أن يرسم ملامح لتاريخ يمتزج فيه اليومي بالأسطوري، ويضطلع الفانتاستيكي بنسج الحكبة وابتعات الحركة في تلك الأجواء الريفية.

في روايته الجديدة «صمت الطواحين»، يقسم أبو رية النص إلى أربعة فصول تحمل أسماء ثلاث بلدات: الصوالح، الجزيرة، طنح، والجزيرة مرة أخرى، وبين هذه البلدات فروق تضئ جوانب من قصة الأسرة التي يحكى الكاتب قصة صعودها وأفولها، حيث إن «الصوالح» يسكنها البدو والجزيرة، يقطنها من هم من أصل عربي، أما «طنح»، فقد أقام فيها، إلى تاريخ قيام ثورة ١٩٥٢، أوروبيون كانوا قد وفدوا إليها من مستعمرات تركية سابقة، وحملوا معهم طرائق الميش الغربية وشيدوا فيلات وقصوراً ومقاهي: قطعة من أوروبا بين قارة من فلاحين غلاظ خشنى الطباع، لا يرحمون، تلوك السنثهم سير الخلق بمعايير أخلاقية بالية (...) الآن تدنو هذه البلدة من السمات المميزة للقرى

المصرية كافة، هجرت القصور، وتآكلت واجهاتها المغبرة، وتحول الكثير منها إلى مدارس أو مستشفيات أو إدارات للنظام العسكري الحاكم، ص ١١٤.

فى تلك المنطقة من الدلتا، ينسج أبو رية اللحظات الأساسية فى مسار فرع من أسرة آل خليفة التى بنت ثروتها ونفوذها من تشغيل طواحين القمح والرز.. والأمري يتعلق، عند انطلاق الرواية وبالتحديد سلطة عائلة آل خليفة على يد الحاج أبو المعاطى الذى سعى إلى تخليص الطواحين من سيطرة أبناء عمه الذين استغلوا والده وانفقوا الأموال المحصلة على سهراتهم الماجنة. يستعيد أبو المعاطى الطواحين مستعيناً بأخويه أبو العلا ويونس، ويأخذ فى توسيع دائرة المشروع عبر البلدات المجاورة لكن مسار حياته تغير عندما التقى فى «الصوالح» بـ «شهدة» التى كان يعرفها فتاة صغيرة فى «الجزيرة»، وهى الآن رائعة الجمال، متزوجة من طه الضماوى بائع الكيوسين الذى لا تحبه.. وعلى رغم أن الحاج أبو المعاطى متزوج فإن جمال شهدة أيقظ عاطفته وأجج شهوته، فأخذ يدبر الأمر ليفصلها عن زوجها، ثم تزوجها مستعيناً بثروته ونفذه. بهذا السلوك، تجديد الفراض بزوجة ثانية، وتوسيع البيت ونقط ارتكاز الطواحين فى بلدات الدلتا، يكون الحاج أبو المعاطى قد وطد نفسه «مؤسساً» للعائلة من جديد، ومن ثم اهتمامه بدعم ابنه «فرج» ليصبح سنده وخليفته، متخطياً بذلك أخويه أبو العلا ويونس، يرسل إذا ابنه إلى طناح ليراقب عميه ويتعلم منهما فى الآن نفسه، حرفة تدبير الطواحين: ...والآن يخضع ل«رغبة الأب» فى ترك طاحونة الجزيرة ليلحق بأعمامه فى طاحونة طناح، قال له قبل المغادرة: لا تكف عن مراقبتهمما وتبلغنى بأى أمر تستشعر منه التحالف ضدنا.. ص ١٤٠. كان الأب يخطط كل شيء ليستكمل شروط المؤسس البطيريركى فأغرى فرج بالبحث عن فتاة من أسرة عريقة فى طناح، تعرف أصول المعاشرة وتحسين النسل، فيعقد زواجه مركز الفرع الثانى لآل خليفة، ويتلاقح الفلاحون بسلالة أسرة محمد على مستفيدين من أراضى الباشوات وعندما التقى بشاهناز سرعان ما تبادرت إلى ذهنه الفكرة التى كانت تراود أباه، بل تشكل أفقاً مشتركاً فى المناخ السياسى بعد ثورة ١٩٥٢: ... فلأخلط ثروتنا الجديدة بعراقة نسبها وتنجب أبناء يجمعون العنصرين معاً، ويشكلون كائنات الأرض الجديدة التى يبشر بها زعيم الضباط، ص ١٤١. لكن توقعات فرج ذهبت أدراج الرياح، لأن شاهناز حملت إليه تجربة الحب التى لم يسبق له أن عاشها.

لم تدم سعادة فرج طويلاً لأن أباه انجذب إلى جمال شاهناز وراودها عن نفسها فرفضت هاستشاط غضباً وارغم ابته على تطليقها.

حينئذ تبدأ مرحلة الجحيم التي قادت فرج إلى نهايته والعائلة إلى التلاشي؛ يتزوج فرج أكثر من مرة، ينتقل بين المهن، يسافر إلى خارج مصر لكنه في كل مرة يعود بخيبة كبيرة عاجزاً عن نسيان شاهناز الزوجة والحبوبة؛ هل كان ترتیباً من القدر؟ أكان لا بد أن يحدث ما حدث لكي التقى بها؟ أسألو الأقدار، أو أسألو أبي الذي جاء في زمن تعلق فيه بإرادة الطواحين (....) أسألو الزمن الذي ضبط ساعته على هذا اللقاء في ضحى هذا اليوم عند هبوطى من قطار الدلتا، فيصطدم الحنطور بالكارتة لألتقى بها عند خروجها لزيارة مقبرة أبيها ص ١٥١.

على رغم وجود شخصيات متميزة تؤثت رواية، صممت الطواحين، مثل شخصيات أبو العلا ويونس ونور، عليوة وشهدة وعبد السلام المنصوري؛ فإن بناء النص يقوم على قصتين وحبكتين مدارهما الأب وابنه فرج، وهذا ما يغرى القارئ بأن يصوب زاوية التأويل نحو البنية البطريكية التي يعاد إنتاجها ضمن شروط اجتماعية واقتصادية مغايرة.

إلا أنها تستمر في ممارسة التأثير السلبي نفسه الذي يطبع الملائق المحكومة بالاستبداد والتي تقف حجر عثرة أمام نمو الفرد في وصفه كياناً وحرية، يبتدع المستقبل ولا يقتصر على استنساخ قيم ماضوية.

### تحالف مجهض؟

في رواية، صممت الطواحين، يحتل سرد قصة ترميم أبو المعاطى للفرع الثانى من عائلة آل خليفة القسط الأوفر من النص وما تبقى يسرد مأساة فرج وانحداره هو والعائلة، ومن هذه الزاوية تبدو الرواية وكأنها تبتعث حيوات وتميد تجسيد فضاءات تتصل بمهنة طواحين القمح والرز في بلدات الدلتا.. إلا أن التاريخى الحدشى المتوارى خلف الشخصوص ووصف تفاصيل الحياة اليومية وصفاً مقتصدًا، سرعان ما يثير انتباهنا عبر تعليقات مقتضبة إلى عناصر ترميز يتقصدها الكاتب خلسة ومن دون طمننة أو تصريح وأول ما يلقت النظر تلك الصورة التي رسمتها الرواية للأب البطريكي من خلال تعرجات غير مأثوفة لأن أبو المعاطى يبدو لنا أول الأمر إنسانياً

فى ضعفه أمام شهدة الجميلة التى حركت شهوته وهو على عتبة السن الحرجة.. إلا أن استنقواءه واتساع ثروته جعلاه يرتد إلى البنية الموروثة التى تربط صورة رئيس العائلة والأب «المؤسس» بالسلوك المستبد. وبشخصية الأمير الذى يستجيب لما يشتهي، على هذا النحو تبرز من ثنايا النص إيقونة ترسم ملامح بطريركية للأب الذى يبيع لنفسه تحقيق رغائبه واشتهاءاته الذاتية، وفى الآن نفسه يفرض على زوجته وابنه الخضوع لأوامره وردود فعله المبنية على الأنانية (مراودته لزوجته ابنة) وعلى النزعة الاستبدادية (إرغامه الابن على تطبيق شاهناز):

«رحل الجميع وقيت شاهى بوضاء بشرتها، ونور وجهها المشع فى مواجهة مع شيخوخة الزوج الأول (فرج) الذى لم يبق له من زمنه القديم سوى عشقه لها، لو استقبل ما استبدر من أيامه، لو كان الأمر بيده لا بيد أب جبار، متكبر، يريد أن يقول للولد كن فيكون، لم يتحرر من سطوته أبداً، ولم يقدر يوماً على الفكك من فلكه. حاول يوماً فترك العمل فى الطاحونة بعد أن أجبر على تطبيق شاهى، وولد تشيله وولد تحمله، فالتقطته جماعة الإخوان المسلمين، قالوا له: سنوفر لك وظيفة وزوجة...»  
ص ١٦٥.

العنصر الآخر لتأويل «صمت الطواحين»، يتجلى فى ذلك الزواج بين فرج الفلاح «المساعد» وشاهناز سلسلة الأسرة الحاكمة والطبقة البورجوازية التى كانت تملك الأراضي الشاسعة، يبدو هذا الزواج بمثابة ترميز يستحضر تلك الفكرة التى أشار إليها بعض من أرخوا للناصرية، والذين ينهون إلى أن من أسباب فشل ثورة ١٩٥٢ كونها لم تنجح فى عقد تحالف مع الطبقة البورجوازية التى كانت تتواهر على قوة اقتصادية وخبرة فى الإدارة والتدبير، وانفتاح على القيم التحديثية.. ونجد الكاتب يدس هذه الفكرة على النحو الآتى:

«من كان يتخيل ما حدث؟ أن يطرد الملك آخر سلالة محمد على، ويفادر الجيش الانكليزى مدن القناة، وتصادر أراضي الباشوات بل من كان يتصور أن يهرع الأجانب لمضارعة البلاد تاركين ثرواتهم لعمالهم من أمثال المنصوري؟ فلأخلف ثروتنا الجديدة بعراقلة نسبها ونعجب أبناء يجمعون العنصرين معاً ويشكلون كائنات الأرض الجديدة التى ييسرها زعيم الضباط (ص ١٤١). كان الكاتب يريد أن ينبها إلى أن تلاهى إعادة إنتاج البنية البطريركية واستبداد الأب، إنما هو مرتبط بتغيير عقلية الفلاحين

وسلوكلهم من خلال تزاوج مع الطبقة التى استوعبت قيم الحداثة والعصر.. ونتيجة لهذا التحالف المجهز، يعيش المجتمع المصرى تقهقرا يتيح لإيديولوجيا الأصوليين الانتشار والرواج.

إن أحداث، صمت الطواحين، لا تكاد تتعدى ثلاثة عقود زمنية، لكنها تؤرخ عبر السرد والشخص والكلام، تصعود فرع من آل خليفة وإفوله، كما تؤرخ لاندثار تأثير الأسر المنحدرة من أصول أوروبية وتركية فى بلدة طنناح، إلى جانب بروز المستفيدين من الأملاك المؤممة فى العهد الناصرى.. من هذه الزاوية، يمكن اعتبار، صمت الطواحين، بمثابة رواية أجيال من نوع خاص، لأنها تقوم على البناء المشهدى المحيل على جريان الزمن المتقاصر، وعلى الصوغ فى حده الأدنى الخالى من التزيد والحشو والوصف غير الوظيفى وتأخذ اللغة فى النص، منحى الدقة والاقتصاد والتهجين المولد لدلالات تخدم خصوصية فضاء الرواية. وفى نطاق تعديد الأصوات واللغة تطالعنا ثلاث رؤى على لسان الإخوة الأربعة، مكتوبة بلغة شعرية لافتة، وكان الكاتب أراد أن يخفف قليلاً من، نثرية، اللغة السائدة فى النص والتى هى مبررة وملائمة لأجواء الحياة الريفية اليومية، بينما تبدو تلك الرؤى ذات اللغة المصفاة وكأنها مسقط من فوق.

إن، صمت الطواحين، فى نهاية التحليل تدعم عوالم يوسف أبو رية الروائية، وتنطوى على متعة وتأملات موحية تعيد إلى الواجهة التاريخ المهمل لبلدات الدلتا، كما تحرك اسئلة تمس تواريخ الأفراد والأسر والأنظمة فى مصر الحديثة.



## الزمان والمكان عند الطيب صالح وبروست

أمير حمد

انطلاقاً من أن كل عمل أدبي، مؤثر، ومتأثر، بعمل أدبي آخر، أو متناص معه، عبر توالد الخواطر أو التكريس لتيمة واحدة، ستجرى المداخلة التالية بين الروائيتين المعنيتين أعلاه وبعض أعمال الأديب الطيب صالح.

١ - يكتب أندريه مورو معلقاً على رواية البحث عن الزمن المفقود بأن بروست كان معنيا بدراسة ميكروسكوبية للعواطف الدقيقة الخالدة.

إلا أن تيمة العواطف لم تركز في هذه الرواية لوصف وشائج اجتماعية معينة، بقدر ما انصبّت على تيمة الماضي والانفتاح، عبر النوستالجيا، والتذكر على علاقة الإنسان بالمكان والزمان المؤثر فيه بثبوت الانفعالات، واللمحظات الخالدة.

يتتبع مسيرة الراوي في موسم الهجرة إلى الشمال، وعلاقته الروحية المتشبثة ببيئة غربته وطمعته في تذكرها في غربته، وحين تواجهه بها، على النقيض من البطل مصطفى سعيد، تتكشف لنا دقائق، ويانورا ما الزمان الخالد بخلود الانفعالات، والعاطفة المكونة تجاهه في لحظة ما، والمكان الذي يطل كمنتصر أبداً، في رحلة اكتشاف الإنسان لذاته، وللحياة، بحثاً عن الخلود.

- يصف الطيب الصالح، في تصريحاته الصحفية بأن دور الكاتب شبيه بدور المؤرخ،

هذا إلى جانب استشهاده دائماً بأقوال المتصوفة في فلسفة المعرفة.. كالإنسان يحمل في داخله معلميه.

لا يختلف هذا المنظور عن تصريح بروس، في إحدى رسائله بأن دوره شبيه بفضائل العالم - دقة الملاحظة، والأمانة في تناول الحقائق، والإصرار على اكتشاف بعض القوانين العامة، وبأنه كان وصفيًا، برغم كل صوفيته...

٢ - لقد سعى كل من الكاتبين لتحقيق ذاته في أعماله الأدبية، فمكس حياة وزمناً مفقوداً أمكن صياغته، كدبيب للمواقع، فتحقق به الكشف عن الذات وتم تحقيقها، عبر التخيل الروائي، كامتداد للمواقع المعاش.

يرى بروس بأنه من بين الأشخاص الذين ساهموا في تكوين ذاته الفردية، الشخص الذي تمسك أكثر بالحياة، فيلسوف لا يستشعر السعادة قط إلا إذا اكتشف الصفات المشتركة التي تضم عملياً معاً، وإحساسين معاً، ومخلوقين معاً.

٣ - هنا يلتقي الكاتبان، من جديد في العمل الروائي.. فالطبيب صالح جعل من الراوي نقيضاً لمصطفى سعيد.. رجلاً متمسكاً بالحياة، عنيداً لا يساوم بها، وإن لاحق طيف مصطفى سعيد إلى قرابة الفرق. هذا كما أن الرواية تقوم أصلاً على مخلوقية (الراوي) ومصطفى سعيد، متباينين تماماً لإظهار الإحساس والبرود، والنهج المغاير لكل منهما للتعرف على الحياة.

بهذا الاختلاف النوعي، أمكننا إدراك الإيحاء إلى صفات مشتركة يمكن توافرها في النفس الإنسانية المتنازعة، لتحقيق سعادتها والتعرف على منظومة الحياة؛ بهذا المفهوم.. بتوفر شخصيتين رئيسيتين، بمنظورين متفاوتين للحياة. استطاعت موسم الهجرة إلى الشمال أن تضم عملياً معاً لاكتشاف بعد ثالث، غير متطرف/ كمصطفى سعيد، أو مثقف مهان يحاول رغم لا اقتناعه من صميم دواخله التوفيق بين واقع مجتمعه، وبينه كمثقف ناقد ومتشكك عاد من أوروبا.

تقوم فكرة / فلسفة بروس، في رواية، البحث عن الزمن المفقود، على التغلب على مسيرة الزمان قديماً، وذلك بإيقاف عجلته بالتذكر، فكانت، كعكة المادلين، التي أهدتها له عمته، بؤرة الرحلة إلى الماضي، فكلما تمثلت في مخيلته سوى أن تذكرها، أو داهمته في اللامع، انتشى وألقى حاضره. في هذه اللحظة تنتصر الذاكرة/ الماضي على مسيرة الزمن الهدام، ويتحقق مفهوم الخلود، كوقوف ضد تيار الزمن، نحو الأمام. أما

الراوى فى موسم الهجرة إلى الشمال، فلم تكن تعاوده لحظات الماضى/ النوستالجيا كثيراً، لأنه استطاع أن يطور علاقته بالماضى كامتداد للحاضر، أى أنه لم يفتقد الماضى فتقطع صلتة به، ولم يجعل حضوره كزمن آخر، وإنما كريدف للحاضر، فلم يتألم لفقدانه لكونه امتداداً لحاضره فحقق عبر الإتران سعادته فى قريته (ودحامد) حينما أظهر الكاتب بطل الرواية مصطفى سعيد على مسرح الأحداث كانت تطل من ورائه كنقيض للراوى فلسفة/ فكرة الرواية، فى تيمة الزمان، المكان، مثلاً، فالبطل نشأ فى بيئة بلقع ولم ينشئ علاقة مع فرد ومجتمع ما ولم يشده حنين إلى مكان أو يستحضره زمن مفقود يتشبث بأناسه، وبأواصرهم .. لا شيء البتة سوى مواصلة الرحلة قدماً فريماً زمن/ مجتمع أو مكان/ وطن، يطرأ فى حياته فتستقر دواخله الشاغرة، ويتبين له هدف فى الحياة. إن الروائيتين مسكونتان بهاجس الزمن، وسيكولوجيته، والتغيرات التى يحدثها .. فحياتنا معركة مع الزمن فى هذه المعادلة الصعب، بين التشبث بالحياة، التى أسس لها «الزمن» المفقود، جمالاً وطمعاً فى الخلود وبين النسيان، أو لفز الموت يطلب كل من كاتبى الروائيتين - عبر تحقيقهما لذاتيهما فى الكتابة الإبداعية - الخلاص فى الحب، والصداقة كما صرح بذلك بروست فى روايته هذه، والطبيب صالح فى «بندر شاه» : «الإنسان يا محييد، الحياة يا محييد، ما فيها غير حاجتين الصداقة والمحبة».

٤ - بالتدقيق فى تحقيق الكاتب لذاته، نجد أن الطبيب صالح عالج بالرمز، والإيحاء فى شتى أعماله الأدبية، علاقة الإنسان بالمكان والزمان، لأنه كما صرح فى لقاءاته الصحفية، وفيما تعكسه أعماله، ظل مشدوداً إلى موطنه .. ففى إغترابه حركت النوستالجيا كل طاقاته الإبداعية، يقول الطبيب صالح ربما لو لم اغترب، لما كتبت.

٥ - وفى حديث آخر يقول «العنصر الطاغى على كتاباتى هو الحنين إلى عالم أحس بأنه ينقرض رغم أننى أسعى إلى الإنجراف مع هذا التيار، حتى لا يتحول ما أكتب إلى وقوف على الأطلال».

٦ - يكتب موروا عن بروست قائلاً «بأنه كون وطناً يفعل العواطف، واستشهد على ذلك بالتاريخ الفرنسى السياسى وثوراته، حيث يظل بفعل الانفعالات والعواطف كقيم ثابتة».

٧ - على صعيد آخر حينما أدين مصطفى سعيد، فى محكمة جنائية بلندن، تحركت

فى داخله الذاكرة الجماعية، فأحس بأنه يدان كمستعمر من قبل مستعمرين، وليس كجان فى قضية فردية. إننى أسمع فى هذه المحكمة صليل سيوف الرومان فى قرطاجة وقرقرت سنابل خيل اللنبى وهى تطفأ أرض القدس.

٨ - إن هذه النقطة لها أبعادها النفسية العميقة، حيث ينبسط المكان ليشمل الوطن وينقلب الزمن ليرتد إلى الماضى كتراكم لصفات الفرد. أى أننا لا يمكن أن نضع حداً لتداخل الماضى مع الحاضر، ولا يمكن أن نبت فى مصير الفرد، دونما الإنعام بدوافعه الخفية التى تتبع تماماً، خلف ما يتبدى لنا.. هنا نتذكر صورة الأسود فى ذهنية الرجل الأبيض كعلاقة لا تقوم على العقلانية، والإنطلاق من معضلة معينة، لأن عقدة الإحساس بالتفوق، وبعور الآخر بالتحدى، تطوقان العلاقة بطقس مضرب.. فى علاقة الإنسان بالمكان، والزمان، ندرك فى كل من الروايتين أن المكان ظل ثابتاً على نحو ما فى وجه تقلبات المواطف التى كونت تجاهه فى لحظة محددة.. أى أن المكان ثابت ومنتصر أبداً، على ذواتنا المتغيرة.. فنظل نبحث عن مكان معين نحن إليه، فى تلافيف الماضى، وذلك ليس لاختفاله كموقع محسوس، وإنما للتغير الذى اعترى عواطفنا/ اللحظات الخالدة تجاهه.

فالتغير الزمنى الذى طرأ على «ودحامد، لاسيما فى «بندر شاه، ومريود هو عكس لقضايا معاصرة كالسلطة، والمدينة، على أرض القرية التى تحاول الثبات فى وجه التغيرات. أما التغير الزمنى فى موسم الهجرة إلى الشمال، فهو تغير دلف من الخارج فى طيف مصطفى سعيد، وهو تغير تراجمى، أسفر كذلك عن واد الأعراف العقيمة ونهضة المرأة، وأزمة المثقف، العائد من أوروبا ونهج تعامله مع بيئته، كرافض لها أو منطلقاً من الواقع كما فى شخص الراوى «وختام رواية قنديل أم هاشم، ليحيى حتى. يكتب موروا فى تحليله لعلاقة الإنسان بالزمان «بأن الذوات الإنسانية لا تعدو عن كونها منسلخة وثابتة.

٩ - فالأولى تدرك بأن الفرد متجدد فى علاقته مع الزمن، لا شئ يشى بالثبوت، على النقيض من الذات الإنسانية الثابتة، التى تؤمن بلا تجدد شخصية الإنسان وثبوتها فى وجه التغيرات التى يحدثها الزمن. رغم تشبث بروسث بالذات الثابتة، وإيهامه لنفسه بها، كى يحافظ على علاقته بالزمن المفقود إلا أنه كان يدرك تماماً بأنه ما من شئ «ثابت، أو خالد.. إن تردده فى هذه العلاقة المزدوجة كان قابضاً فى تشبث تيار

الزمن باستعادة الزمن المفقود/ الماضي، في الذاكرة، أى أنه شمة ذات ثابتة، وليست منسلخة تماماً، وإلا لما تواصل الماضي مع الحاضر، ومن هنا نشأت الفكرة المركزية في الكشف عن الزمن، في دواخلنا، وليس في الأماكن التي كنا نرتادها.. لأن الملحك هو الانفعالات والشعور الذي يتأجج في دواخلنا تجاهها.

١٠ - إن رحلة البحث عن الذات، تتمثل لنا في موسم الهجرة إلى الشمال في شخص مصطفى سعيد الذي لم يكن يملك أى شيء من مقومات الحياة الاجتماعية أو المقدرات المحسوسة سوى ذكائه.

١١ - لقد كانت رحلته أشبه بأسطورة إغريقية، أو صورة، لفلسفة الجنس، للورنس، كثورة على المجتمع الحديث/ الحضارة من أجل الانتصار للبداية بتحرير الجسد من الكبت ويلوغ مرحلة الأتراكسيا/ التوازن، بالاعتراف بمتطلباته وتحقيقها.

أما الراوي فرحلته هادئة في البحث عن الذات إلى أن أدرك في نهاية المطاف بأن المنتصر الأوحده هو المكان وأنه ليس هناك فشل أو نجاح نهائى، وأن الحياة كالنهر حقيقتها الوحيدة في عدم انقطاعها عن الاستمرارية.

١٢ - إن السفر في هذه الرواية ليس صورياً حسية للعالم، وإنما مفتاح للكشف عن الذات الإنسانية من خلال نوستالجيا الراوي لقريته، وتساوى الأمكنة والأزمنة قاطبة في منظور البطل، أما السفر عند الكاتب/ الطيب صالح، فقد حرر طاقاته الإبداعية فأنشأ زمناً، وبيئة/ مكاناً مرادفاً، كامتداد متخيل لبيئته الأثرية التي خاف أن تتلاشى على مرأى من بصره فخلدها في أعماله.. بهذا المفهوم انتصر الكاتب على الزمن الهدام، وحقق خلوداً بالفن.

١٣ - إن موتيف التذكر، والعلاقة بين الزمن الهدام والذاكرة الحافظة، يتمركز رواية البحث عن الزمن المفقود، وموسم الهجرة إلى الشمال باستعادة البطل لذكرياته بالقرية وبمصطفى سعيد، الذي أصبح امتداداً له وقدرراً ملازماً لا سيما وأنه قد جعله وصياً على زوجته وأطفاله. يؤكد الكاتب لنا أهمية علاقة الإنسان بالمكان والزمان في أقصى معانيها عبر التذكر حينما شارف الراوي الفرق وهو يتابع طيف البطل.. في تلك اللحظة تذكر، نعم تذكر وأعاد علاقته بالشخص الذين أحبه وبالمكان، فامتدت إليه تلك الصور كيد للنجاة من الفرق، كنت أحس بقوى النهر الهدامة تشدني إلى أسفل.. كان ذهني قد صفوا حينئذ، وتحددت علاقتي بالنهر. إننى طاف فوق الماء ولست جزءاً منه.. إننى أقرر الآن أن اختار الحياة.. لأن شمة إنساناً قليلين أحب أن أبقى معهم

أطول وقت... صرخت... والنجدة..

١٤ - لقد أظهر الكاتب البطل على مسرح الأحداث بشكل عابر، وطوره في الزمن المستعاد على مدى متون الرواية، كما في رواية البحث عن الزمن المفقود. فمصطفى سعيد يظهر كغريب بين المحيين من أهل القرية، ويتعملق في حياة الراوى بما رواه له عن حياته، وبما أحدثته من تغير بالقرية هو وهى عليها ومحب لها إن استعادة طيف البطل، من قبل الراوى، لم تكن توضح دائماً ماضى البطل، وإنما كانت كأداة للكشف عن مجتمع قرية ودحامد وللمكان من منظور الراوى كنيقيض للبطل، فتجلت لنا معالم الحياة، وكيفية التعامل معها من منظورين متباينين تماماً.

في المقابل نقرا موروا معلقاً على روايته الزمن المفقود: «إن الشخصية التى تظهر على المسرح بشكل مؤقت... تغدو فيما بعد أحد أبطال العمل، شأنها في ذلك قيمة موسيقية.. تتطور بعد ذلك تدريجياً حتى تصير مركز السيمفونية».

١٥ - إن البنية الفنية لموسم الهجرة إلى الشمال، اعتمدت على إنسيابية الأسلوب والتسلسل الموضوعى، حتى أنه يمكن للقارئ المتمعن أن يضع للرواية عناوين جانبية وينطلق ذلك أيضاً على البحث عن الزمن المفقود. وذلك لأنهما تجاوزتا المفهوم التقليدى، للزمن والمكان في فن الرواية بالانتقال إلى عالم الذاكرة والسحر، «الأسطورة»، والروح هذا كما أن الطيب صالح أظهر بوضوح تداخل الأزمنة بالقطع، والتغير الفجائى وبالأصوات القادمة من بعيد وبألوامع في أعماله اللاحقة، بندرشاه ومريود..

لا يكتفى الكاتب بأن تتمحور قيمة المكان، والزمان الأحداث بالرواية، بل يجعلها موضوعة ملموسة لها صراعها وتدخلها الملحوظ في أقدار الفرد كتعلق الراوى بالحياة لتعلقه ببينة «ودحامد». يرتد بنا الكاتب إلى ظاهرة التناسخ، وتقمص المكان للذوات الإنسانية، فينادى المكان بصوت مسموع أو يشير سراً بأن يتوقف عنده، كما في بندرشاه إذ تلوح الرؤى والكشوف الخارجة عن الزمان فيراها كل من محميد، وسعيد، والطريفى ودبرى وتقودهم إليها هواتف ونداءات غيبية خارقة.

استجاب محميد لهاتف يقول له «محميد تعال، ليتبع الصوت في جوف الظلام إلى أن يصل قلعة ذات قباب عالية يتوهج الضوء من نوافذها كجزيرة سابعة في لجة.

١٦ - حول هذا المضمون كتب بروسنت .. اعتقد أن هناك الكثير مما يقال بشأن الاعتقاد السلبى بأن أرواح أولئك الذين فقدناهم يتم سجنها في أى كائن أو في

حيوان.. تظل هذه الأرواح مفقودة بالنسبة لنا، حتى يأتي اليوم (الذى لا يأتي مطلقاً بالنسبة للكثيرين)، الذى يتفق أن نمر فيه بالشجرة، أو نستحوذ فيه على الشيء الذى يسجنها . حينئذ، تظهر، وتهتز وتدعونا بأسمائنا، وما أن نتعرف على صوتها، حتى يبطل عمل السحر. لقد حررناها لقد قهرت الموت، وعادت تشاركنا الحياة.

١٧ - افتتح الطبيب صالح روايته بمقارنة الراوى العائد من أوروبا للبيئة الأوروبية وبيئة ودحامد وهى مقارنة تتمحور فى اللاوعى، والذاكرة فبدت ملامح الطبيعة، والشخص محاطة بهالة «سحرية»، لأن الراوى كان يراها عبر دثار النوستالجيا، ولحظات ذكرى خالدة، مازالت أحساسيسه متقدة تجاهها أنها مقارنة اقرب إلى دمج تيمتى النوم واليقظة.

١٨ - يكتب موروا عن رواية البحث عن الزمن المفقود قائلاً: إن الكتاب يبدأ بافتتاحية تدور حول موضوعي النوم واليقظة، وهى اللحظات التى يمكن أن نرى فيها بوضوح تام انقلاب الزمن وتفكك الذات ودوامها السرى. إن الأشياء ومشاهد الريف، والسنوات العابرة تداعب الراوى.. إننا نتهياً الآن للتجول بين ذكرياته.

وهو عينه ما تقرأه فى موسم الهجرة إلى الشمال، إثر لقاء الراوى بأهله، هيأنا الراوى للتجول بين ذكرياته على ساعد النيل، ومع جده..

يمثل افتتاح كل من الروائيتين بالزمن، والمكان فى اليقظة أو الصحو. جلأه الذاكرة اللاإرادية واستعادة الزمن فى أطيب أوقاته، فى النقاط التالية من رواية البحث عن الزمن المفقود نلتبس التقارب أكثر برواية موسم الهجرة إلى الشمال، لاسيما أن علاقة الزمن بالمكان، كفكرة أساسية فيهما استقطبت سلسلة الأحداث فى عقدة مركزية واحدة:

١٩ - بالرواية الضردوس المفقود أرواح حية وقوية تقوم بحراسة الراوى معنوياً فى المقابل نجد الجد مثلاً مثلها بموسم الهجرة إلى الشمال.

٢٠ - يبدو أن كل شيء منتمى إلى هذا العالم فى حالة من السحر الجميل: الشجر، التجوال، كل الأشياء تشاركه هذا السحر الفارق، وهو ما نلمسه كذلك بيئة الراوى ودحامد، وإحساسه بالسعادة فى تجواله بين طرقاتها وأشجار النخل.

٢١ - (الأسرار التى تحيط بالراوى تشبه الأساطير) كسر مصطفى سعيد، الكامن فى غرفة مبهمة، افتتح يا سمس..

٢٢ - (ذكر عائلة جرمانت الارستقراطية التى لم تكن تتزوج من الطبقة الوسطى أو

الدنيا) في المقابل نجد رفض العائلة الانجليزية لصداقة مصطفى سعيد بابتنتهم، ورفض أهل ودحامد لتزويجه منهم لكونه «غريب، فارتبط بحسته، لكون أهلها غير مكترئين، كما يرى ذلك أهل ودحامد.

٢٣ - (قدر لحياة الراوى أن تظل مطاردة طويلة لكل ما يختفى خلف اسم جرمانت) كما هو الحال عند الراوى كالهجرة إلى الشمال إذ أصبح يتعقب أثر البطل إلى أن شارف الغرق.

٢٤ - «موضوع، إضافية بالرواية، تعد في حد ذاتها قصة قصيرة وهو الحال في موسم الهجرة باعتبارها رواية قصصية من قصتين أساسيتين وأحداث وشخصيات مساندة.

٢٥ - كل أنواع التجارب العاطفية التي خاضها الراوى في «البحث عن الزمن المفقود، كانت علاقات مشوهة تقود من الفتنة إلى المعاناة، ومن ثم إلى النسيان... كما كانت تجارب مصطفى سعيد العاطفية مع الفتيات الانجليزيات.

٢٦ - في الحب اكتشف الراوى الأنانية وتفاهة العالم، وقسلة... وإن قيمة العالم تكمن في الرغبة والذكرى. يطل أمين بروسيت أما مصطفى سعيد فقد اتصف كذلك بهذه الصفات من خلال إقامته لعلاقات مختلة مع النساء الانجليزيات، وكان دافعه الأقوى هو الرغبة في الحصول على النساء ونسيهن، من ثم ما أن وقعن في شركه، أما ذكرى جين مورس التي اغتالها فظلت تتابعه وتتجسد هلوسة في منامه، إلى أن قرر الاستجابة لها فانتحر.

٢٧ - إن سوان، وجانت جرمان يتوحدان في شخص الأنسة سانت لو.. وأخيراً يدرك الراوى رسالته الأبدية التي حملتها له الأشجار.. أما هي موسم الهجرة، فقد توحد شخص الراوى بـ مصطفى سعيد، إلى أن أدرك رسالته في الحياة في نهاية المطاف، وهو يشارف الغرق، فكانت منفذ له، وفارق نوعي بينه، وبين البطل.

٢٨ - ينتهى العمل في اللحظة التي قرر الراوى فيها البدء في الكتابة وهكذا يلوب الثعبان على نفسه، بعد وصف لداثرته الضخمة إما بموسم الهجرة إلى الشمال ينتهى العمل من حيث بدأ الراوى بتعلقه بأهل قريته والمكان اللذين أحبهما أيما حب. «ساحيا لأن ثمة إناس قليلين أحب أن أبقي معهم أطول وقت...»

٢٩ - لقد قرر بروسيت منذ أن شرع في كتابة الصفحة الأولى. أن تنتهى فقره الأخيرة من الرواية بكلمة الزمن، الذى يلمس في وقت واحد السنوات المتباعدة والفترات القصيرة التي تتدرج بينهما أيام لا تحصى... وحينها نسمع كلمة الزمن في ختام



الرواية يذكرنا بتهوفن وهو يكرر النغمة النهائية كلون من التوكيد والانعتاق.  
٣٠- بموسم الهجرة إلى الشمال اهتم الكاتب روايته بالزمن كذلك، عدت يا ساداتي بعد غيبة طويلة، سبعة أعوام على وجه التحديد.

٣١- وفي ختامها يقدر الزمن/ الحياة كأسمى ما يسعى إليه الفرد. وقد شارف الغرق ما من شيء سوى الانعتاق من ريقه الموج وصرخة مؤكدة كما فعل الراوي، النجدة النجدة.

٣٢- في تحقيق الكاتب الطيب صالح لذاته عبر الكتابة تركزت قريته في اللاوعي، فكان عكسه للعالم المتخيل تراكمًا لصور الماضي، الذي بدوره تجلى كامتداد بديهي للحاضر.. فالعالم الذي صاغه ليس مجرداً، فهو مأخوذ به، مشدود إليه.

٣٣- أما نحن قراءه فيبدو لنا واقع حياتنا المرير كحيز مرن يمكن صياغته على نحو أفضل وذلك لأن مقدرة الكاتب تجاوزت بنا لذة القراءة إلى تحرير طاقتنا، والقدرة المباشرة على التحول فيبدي الكاتب من وراء عمله كمهندس معماري، يصوغ لنا من نفس الحجر، والأرض التي اخترناها وطناً آخر، ظللنا ننشده، هنا تتأكد رسالة الفن في ذروته حينما يصبح الواقع قابلاً لصياغة أخرى، وفقاً للقيمة الفنية والأدبية التي نختارها، من بين متون ما نقرأ أو نشاهد أو نستمع.

٣٤- هذا الاتجاه جمع بينه وبين حسن فتحى المعمارى المصرى الذى بنى قرية مصرية عام ١٩٤٥، والتي يقول عنها - الطيب صالح - قرية تنبض جدرانها بالألفة والجوار. لم أجد يستعين بمثل هذه الفكرة. نحن بنى بيوتاً من الأسمنت والطوب، ولكن حسن فتحى أراد أن يجر الناس إلى أنفسهم من باب المعمار، والمعمار جزء مكمل للأدب والفن..

بناء على أندريه مورو، اعتمد بروست فى رواية البحث عن الزمن المفقود على تيميتين منفصلتين، و ربط بينهما بعلاقة الاستعارة أو السببية، هنا نلتقى من جديد بنقاط التماس بين الروائين، فموسم الهجرة إلى الشمال تقوم أصلاً فى بنيتها الفنية، على تيمتى الراوى، والبطل/ مصطفى سعيد/ بالرغم من تصنيف موسم الهجرة إلى الشمال ضمن روايات الشخصيات والقصص، إلا أنها متداخلة مع روايات الأفكار، لأن البطل كان يمثل أفكاراً فلسفية كالوجودية بحريته المفرطة/ اللاكترات، وتحمل مسئوليته تجاه الوهم، الذى صاغ به حياته، فقرر الابتكار أو الاختفاء من مسرح القرية. أما الراوى فتمتته تتمثل فى بحثه الخفى عن علاقة الإنسان بالمكان والزمان..



أما علاقة السببية بينهما فتكمن في البحث عن الدوافع وما هيتها لخلق، وتطور هذين الشخصين كنموذج لمجتمعين آمن، ومتصدع.

لا يختلف الكاتب الطيب كذلك في أسلوبه وما هية الكشف عن كنة الأشياء، والذات الإنسانية عن بروست فجعل القارئ يتهاى أسراراً ما تمكن وراء الشخوص والطبيعة، لا تستطيع الكشف عنها إلا بشحن خيالنا، وحواسنا، فودحامد تبدو كأي قرية صغيرة بشمال السودان إلا أن منظور الراوى لها كعالم مثالي، وأسطورى تارة أخرى كما في عرس الزين، جعلنا نلاحق عالماً آخر يقيع خلف هذه البنية المحسوسة، التي قد تتفق كل الأعين في وصفها، وتختلف لا محال الذوات الإنسانية في إنطباعاتها نحوها، هنا يكمن الإبداع أو الاستحالة بإضفاء الأسطورية على مكان وبيئة نعهدا، فنواجه أنفسنا بالسؤال:

كيف استطاع الكاتب أن يكشف لنا عن أسرار، وجمال هذه القرية مثلاً، ونحن مثله أبناءها، تأبى علينا هذا السر؟ هنا نبدأ في رحلة الكشف عن الذات، لأن تقييمنا للعالم الخارجى نابع من ذاتنا، فالمكان الذى يتراءى لنا، أو نعيش فيه لا يمنح كل منا احساساً متشابهاً تجاهه. عمد الطيب صالح كذلك كبروست إلى الاحتياط من المواضيع المتبدلة، فتناول في مجتمع القرية علاقة الإنسان بالمكان، والزمان وأثرهما

## ألعاب الكتاب

فريد أبو سعدة

يبدو أن الكتاب الكبار، خلال النصف الثاني من القرن الماضي، وحتى الآن بالطبع، لم تعد تكفيهم الخيلة القديمة وطرائقها المألوفة في الإثارة، يقول ماركيز في روايته الأخيرة ( ذكريات ) : " كما أن هناك أحداثاً واقعية يمكن نسيانها هناك أيضاً أحداث لم تقع أبداً ويمكن أن تظل ذكرها كما لو أنها وقعت " ١

أعتقد أن هذه العبارة تتضمن مفهوماً مختلفاً للفن، فإذا كانت المفاهيم الرومانتيكية أو الراديكالية للفن من حيث قدرته على التغيير، أو التفسير أو تثوير الواقع، قد أصبحت من السرديات القديمة فإن فكرة توسيع العالم، فكرة الخلق والإضافة أصبحت هاجس الكتاب، بمعنى أن اتجاهها قوياً لبعض الكتاب يعمل بالأساس على خلخلة كل المسلمات فما كان حقيقة، أو تم التواطؤ على أنها كذلك، أصبح مجالاً للشك وإعادة النظر، وما هو خيال محض - لم يحدث أبداً - أصبح مقنعاً كالحقائق الموضوعية.

فمن ألعاب كاتب كبير مثل بورخيس هذه الرغبة والمقدرة على خلق وتأسيس وقائع وشخصيات لم تكن أبداً، وإعطاء تكويناته السردية الخيالية مصداقية الحقائق الموضوعية، فنرى بعض قصصه تبدأ كما لو كانت دراسة علمية خالصة وأحياناً على شكل فكرة فلسفية أو طرح جدلي، وحيله في ذلك متعددة، فقد يبدأ النص بفقرة من عمل أدبي قديم أو من مرجع تاريخي أو علمي، أو باستدعاء ومناقشة أسطورة قديمة أو فكرة فلسفية لم تحسم حتى الآن.

المهم هو أن يشرك القارئ معه في اللعبة الذهنية الراقية والمحيرة، ويشده إلى

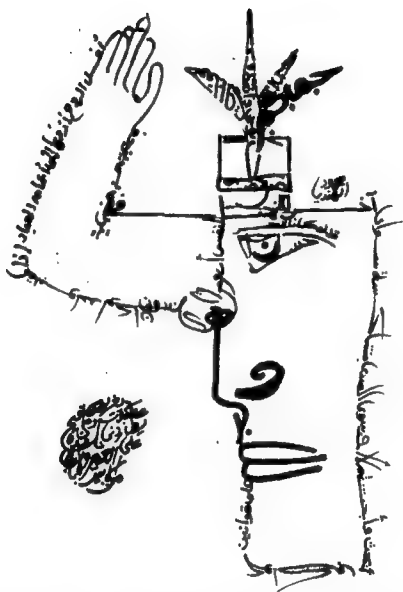
أطروحاته الميتافيزيقية المسببة للدوار، فهو مثلا في قصته (الاقترب من المعتصم) يستعرض رواية لا وجود لها وينسبها لمؤلف لا وجود له، وفي (دراسة لأعمال هيرت كوين) يتوسع في ذلك بدراسة أعمال كاملة لكاتب وهمي!!

ومن ألعاب ماريو فارغاس يوسا أن يقدم نفسه في شخصيات مستعارة باللغة التنوع: شاعرا، ناقدًا، روائيا، ثم لا يكتفى بذلك، بل يجعل الناقد يمارس عمله النقدي على كل من الشاعر والروائي. وخلق ماركيز مدينة من لا شيء مانحا إياها اسما، هو "ماكوندو"، وتاريخا أكثر حضورا من تواريخ بعض المدن الحقيقية، ثم ملأها بشخصيات وحيوات صاخبة، وهذا ما حاوله أيضا الروائي المصري محمد البساطي في روايته الخالدية".

وتأتى رواية (شيفرة دافنشى) للكاتب البريطاني "دان براون" في هذا الإطار عملا حاذقا من أعمال المخيلة، بالمعنى الذى سبق، فهي رواية بوليسية مشوقة تعتمد في حبكةها على مؤامرة عالمية تتعلق بالكأس المقدس (الذى يقال إن المسيح عليه السلام شرب منه في العشاء الأخير)، وتخوض أحداثها في تفاصيل كثيرة حول تأويل الرموز في لوحة (العشاء الأخير) لدافنشى، حيث يمزج الروائي بين الأساطير وتاريخ الفن وتاريخ القرون الوسطى، مستفيدا من ممارسته المهنية في هذه المجالات قبل أن يتفرغ للكتابة، وبالرغم من إصدار براون ثلاث روايات قبل شيفرة دافنشى هي: ملائكة و شياطين، نقطة الخداع، والقلعة الرقمية، حازت روايته تلك على شهرة مدوية، وتعد أسرع رواية في الانتشار بعد سلسلة هارى پوتر، كما ترجمت إلى أكثر من أربعين لغة، وأثارت موجة من النشر والنشر المضاد لكتيبات توضيحية تساعد القراء على فهمها، وأخرى نقدية، دفاعية أو هجومية ترد على أفكارها المشتبكة بجراة مع المقدس المكرس من قبل الكنيسة.

وفي هذا الإطار الأخير تسلم مرشدوا دير "ستمستر" كتابا يسمح لهم بالرد على أسئلة السياح الذين يتبعون الآثار المذكورة بالرواية، وقال الأب "ويسلى كار": إن هذا الكتاب (الرواية) أصبح في عداد الكتب الأكثر مبيعا في العالم، ويتعين علينا أن نواجه بأفضل طريقة النتائج العملية لهذه الشعبية "مضيفا: "لدينا دور لنعبه أيضا لتثبيت الحقيقة والتمييز بين الخيال والحقيقة".

لقد وصلت ألعاب الكتاب واجترحاتهم لمناطق جديدة من اللعب الحر إلى الدرجة التى أصبحت تهدد الحقائق المستقرة، أو تلك التى تدعى أنها كذلك.



هكذا يتمين علينا أن نصدق دان براون الذي يقضى بعض الوقت واقفا على رأسه أثناء الكتابة عندما يقول: "البقاء في وضع مقلوب يساعدني على حل عقد الحبكة الدرامية عن طريق تغيير الزاوية التي أنظر بها إلى الأشياء".



## عقدة .. ولها حلال

### محمود الشاذلى

العتمة الكاتمة شق دماغى	دستوريا سيادى
بكبسة بن	على قد هواكم ..
يجعل قلبى يبطل زن	كلفتكم زادى
ويلوف على عتبة وقفى الخن	ويكسر حطبكم
بوريه يا مرارى	أنا قدت المنقد ..
لفح سعالكم .. هيج شعبى	على صهد فؤادى
برد لسانكم .. سلا أفكارى	وطيخت مرادى
ودقونكو قتاد بيخرج كفى	طلب ليه أنا دايماً ..
وعيونكو سهاد بيكهرب فرشى	من رعدة أيدى
وأنا قلب الخسايه ف جنبى	ينكب معونى .. ١٩
بيكركرب أحلامى ف عبنى	والجوع الكافر ..
ويحمر عرفى	مقاسمنى ف سقفى،
وأنا غاوى أدانى يعمر سمع الناس	ومعرى الروح ..
ويعطر فى الإحساس	من ستر إيمانى .. ٢١
ولا أشرب ثانى سكير الكاس	دستوريا سيادى يا أوتادى
ولا ابل صوابعى برعشة قلقي	يجعل قولى عليكم خفيف
واقلب فى الكراس .. ٢٢	وطريقى رصيف
دستوريا سيادى	مرصوف بسماكو ..

بقزاز كلحان	أنا مش ياخشاكم
وفتيلاها مهيب ومدغمس	ولا حتى هاييكم
بتفهم قولى المتجيس	أنا بس مقلق..
على ورقى البور..!!	من طعم حنينى المترشق
وأنا جنى قديم	فى سنون سنائيركم
مجنون وحكيم	وضميرى مجمزع الشط اسير
والعضمة اللاحمة على لسانى	متعشم يغمز من صيدكم خير
خاتمة بتأشيرة على (البسبور)	والخير غرقان..
تقزح ميت سور	فى بحور لقمان
وفانوسى ماجوسى عنيق الضى	ونخيلى سبابط سعف جريد
فى نقح الضهر..	لا تمر بيطرح ولا ضله
داير ما يدور..	ولا حتى نوايه قبل الريق..!!
بيطفى ضلام قايد فى الحى	دستوريا دراع فتت عضله
والحى دروب	دستوريا شرع ساب من قلعه
مافيهومش (جروب)	دستوركم ذاع
يتجمع يوم على أيها شى..!!	إنما متباع ورقات لـ الف
دستوريا رياح هابه بزعايب	أو قرضة رفه
أنا بدى لبيب	أو مسح قزاز..
يداوينى وأطيب	شبابيك البيت والعرييات..!!
واحفظكم ذكرى تفوح بالطيب	سألتنى الغاويه هوايا سؤال
واغنى بصوت طابير شحور	رديت بجوابكم .. وفاتتنى
منقاره وابور يحرت فى النور	ماسوف الحال..!!
وجناحه براح..	يا جنون متعكز على كتفى
للموت جلاد	أنا ليه مستعجل على حتفى
ولا أقول دستور	دستور منشور على لضة جاز
ولا أقول كان لياف يوم أسيا..!!	

## البلدة العظيمة

### إيهاب خليفة

ورغم التشوهات التي دمغت عظامهم	نعم
والتي جعلتهم شبه مجهولين	انتقل الأحياء إلى المقابر
إلا أننا على يقين	وانتقل الموتى
أنهم هم أنفسهم	إلى البيوت
الموتى المطلوبون	
الذين عارضوا	وضع في قصر الحاكم
ها هم مرة ثانية	جثة لحاكم قديم
يسمّون في ساحة الإعدام	على نفس الكرسي
في بقايا أكفان قدرة	المرصع بالجماجم
ويأجسام يملؤها الدود	والدماء
والغبار	ووضع حارسان
وها هم الحراس النبلاء	مقنعان من نفس الزمن
ذوو الثراوات	كان يفضلهما
الذين ساهموا في القبض عليهم	ويؤثرهما
بعد مطاردات الوحل	بالجلد
والغابات	والسباب
والجبال	
يقفون في أكفانهم أيضاً	المتهمون بالخيانة
ومعهم	بحث عنهم في كل قبر





والوزراء	سياطهم
ذو الأبراج العاجية	ونياشينهم
والجماهير	وخلفهم كلابهم ذات الأجراس
الذين لا يجيدون	التي ترن
سوى الهتاف	كلابهم المدرية السوداء
	الميتة أيضاً
ولا ينقصنا الآن	التي تكاد تنبح
سوى لعنة الروح	ها هي
حتى يكون	البلدة العظيمة
المشهد لوحة حية	عادت كلها من جديد
تخلو	القاضي الذي يأكل السحت
من	بمكر عينيه
الحياة	وفتواه العلبة

## معاناة

شريف عبد المجيد

توجهت كما قال الضابط إلى عم محمود ليحرر محضراً بالواقعة . شاهدت ذلك الشاب - المربوطة قدمه بسلسلة تنتهي بقفل حديدي - الذي يجلس القرفصاء كالمعتقلين.

- ادبنى سيجاره .. وضع الشاب يده الخالية على فمه وهو يقول هذه الكلمة.

أخرجت عليه سجائري وأشعلت سيجارة ثم أعطيتها للشاب.

دخل عم محمود القى نظره سريعة على المكان لكنها متفحصة كأنه يبحث عن شيء ما. القى الشاب السيجارة بعد ما أخذ منها نفساً عميقاً. حدجنى عم محمود بنظرة عتاب من نظارته سمكة العدسات.

- خير .. قالها عم محمود بنبرة حادة متصلة وكأنه يشتمنى ثم أشار لى بأن اجلس.

أخبرته بحادث السرقة. ثم أعطيته البطاقة

- بس البطاقة بتعتك صادرة من منطقة سكنية ثانية.

- فعلا أصل الشقة دى مقفولة وما برحش فيها كثير.

- وعرفت ازاي أن الشقة اتسرفت.

- الجيران كلموني فى التليفون لما حسوا إن فى أصوات فى الشقة.

أشار عم محمود بيده للعسكري الواقف أمام الباب المفتوح.

- نادى على سعيد .. تعالى وقع هنا على المحضر سعيد حيعمل معاك المعاينة، دخل شاب أشار له عم محمود ...

- روح مع الأستاذ عشان المعاينة

هز الشاب رأسه وأشار لى بأن ابتعد، عند خروجنا قال لى أحدهم والنبي اتصلنى بالرقم ده من الموبايل بتاعك. عشان أكلم أمى وأطمئنها.. دكه سعيد بقدمه.. أنت يا بن الوسخة مش تسه فيه واحد متصلك بيها من كام ساعه.. تلقى الشاب الضريبة دونما صراخ أو حتى إصدار أدنى صوت ثم خرجت أنا وسعيد من القسم.

- البيت ... بعيد

- شويه .. أوقف تاكسى

- لا .. مالكش دعوه أنا هتصرف

اقتربت منا سيارة ميكروياص .. أشار لها سعيد بيده فتوقفت على الفور.

- نزل الناس دى.

- يا سعيد باشا.. ده إنا تسه مستلم الوردية.

- نزلهم يا بنى الوسخة

نظر السائق للركاب وأوقف محرك السيارة التى نزل منها الركاب تباعا وكأنهم معتادين على ما حدث.

ركبنا السيارة سويا وسألنى السائق .. على فين.

- الشقة فين يا أستاذ قالها سعيد وهو يشعل السيارة

- الطوابق عند محل الجوكر .. أول يمين شارع محمد النادى.

- سامع

- ايوه يا باشا

توجه سعيد بحديثه إلى.. تتهم حد معين بسرقة الشقة

- بصراحة.. لا

- هو ايه إلى اتسرق من الشقة

تلفزيون توشيبا عشرين بوصة تورنيديو والريموت والمأكواه وكل الهدوم اللى فى الدولااب

حتى شيشب الحمام

- فضحك سعيد وسائق الميكروياص الذى أردف قائلا:

- رينا يعموض عليك

توقف الميكروياص أمام البيت

- استنى هنا يابن الوسخة لحد ما ننزل
- ما تشتمش يا سعيد باشا
- نعم يا روح أملك
- تدخلت محاولاً الا يتفاهم الوضع بينهما... معلى كفاية العطلة الى احنا سببها له.
- مالكش دعوه انت.. قالها لى سعيد بشكل حاد وحاسم
- صعدنا سويا للشقة.. ثم فتحت الباب بالفتاح
- إيه التراب ده كله انت مش قاعد فى الشقة ولا إيه
- لا ما أنا قولت الكلام ده للضابط ولعم محمود حتلاقيه فى المحضر.
- واضح ان الى سرق عارف الشقة كويس.. لأنه ما دخلش من الباب.
- ممكن .. حضرتك فيه آثار أقدام عند باب البلكونه
- يبقى زى ما أنا اتوقعت بالضبط
- هوه.. حضرتك مش حتأخذ البصمات
- نعم.. هوه فيه حد بياخد بصمات الرجلين.
- لا... عندك حق
- اكيد كانوا الاثنين واحد نص من شبائك الحمام والثانى استناء فى السطح.. ممكن يكونوا الجيران.
- لا.. ما اهتكرش.. دول ناس طيبين
- طيبين .. طيب ادينى رقم موبايلىك
- اتفضل .. الرقم اهوه وكمان رقم البيت
- احنا هنعمل اللازم وهنبقى نتصل بيلك.. الأحسن تبيع الشقة ما دام مش قاعد فيها.
- إنشاء الله فى أقرب فرصة
- ثم دخل البلكونه.. ليرى سائق الميكروياص..
- خرج مسرعاً.. ابن الوسخة سابنى ومشى، قالها بعدما وضع العشرين جنيهه التى اخذها منى فى جيب بنطلونه الجينز الصغير الذى يقع فوق جيب آخر أكثر اتساعاً..

## قصائد

مراد ناجح عزيز

### مناديل

بيخبط..

لقد باب الدنيا مفتوح

قام داخل

وما ستناش

ويرغم ضعف إحساسك بيه

ويرغم شهقة شقاوة العمر ف ضلوعك

ما الفش ف البعد روحه

وقال يا فكيف ولا قال يا عذاب

خبط ع الباب

ودخل..

ويا طفل البراح اللي اتولد..

مناديل..

بتلم عرق الغلابه ع الجبين

وتنشقه

وقبل ما تسخن جواك حاجات قديمه

تصحى الصيف

قوم

وخذ تحت باطلك إحساس طرئ  
وصورة البتت اللى وقفت قدام عنيك  
وادتلك أمل..  
لقى باب الدنيا مفتوح..

## الأحلام بتحب هدوء

بس وانت بتحلم  
ميكونش باب الحلم وارب  
اتغطى ونام خفيف  
واقفل وراءك  
اجسن يدخل حد مش عامل حسابه  
جرح كان ولا بشر  
أو إحساس ف قصيده..  
بظلم جوع الغلابه،  
ودمهم  
الأحلام بتحب هدوء  
وانت ما بتصدق حلم يجيلك من ورا الأيام  
سرقه  
ويعد طول انتظار  
الحلم موال النهار، ودوار المكن،  
والبتت اللى غسل شفايفها مقطوف م الجنة  
وطن..  
فيه كل ما تشتهي لعنيك/ فرح  
وكل ما زرعه الطفاه  
ف النار

بس وانت بتحلم..

..

اتغطى ونام خفيف

واقفل وراك

## رتابه

الدنيا بعد المصاعه سته

زى الدنيا قبلها..

ناس مسافره

وناس معازيم،

ويبوتنا المش واقفه على عمدان،

ونس القهاوى،

وكحه أبويا..

اللى السجاير هزمت الباقى منه

والبحر هو البحر

والحياه نفس الحياه

نفس التوهم والحذر

والانتباه

نفس الوطن..

اللى شايل ع الكتاف قريه مخرومه

وماشى يجر خطواته،

وأنا وعنيك

وشباكين ف القلب بأصين للسما

بعتاب

والطيبين

قايمين للصلا

من دهشة الاسئلة ع الباب

## جون أشبرى أمير الشعر الأمريكى

### ترجمة وتقديم: عبد الوهاب الشيخ

ولد جون أشبرى الشاعر الأمريكى الكبير عام ١٩٢٧. درس فى دير فيلد وهارفارد. بعد تجارب البدايات فى نيويورك، التى أذاعت شهرته كواحد من أهم الشعراء الطليعيين وأكثرهم قابلية للفهم، وبعد أن أصدر العديد من المجموعات الشعرية، منها «بعض الأشجار» (١٩٥٦) و«حلم الربيع المزدوج» (١٩٧٠) و«أرق» (١٩٩٨) ترجمت أشعاره إلى معظم لغات العالم وأصبح يعد «الملك المتوج» دون منازع على عرش الشعر فى أمريكا الشمالية. والقصيدة المنشورة مأخوذة من ديوانه your name here، وهى تعطى انطباعاً عن فنه الشعرى الذى يعنى بما هو مدهش فى الأشياء والأحاسيس، كما يتضمن مونولوجات وحوارات ليست مقصودة لذاتها، ولكنها تشير موضوعات عميقة فى إطار الثقافة العالمية.

#### كارافادجو (١) وأتباعه

أنت فنانى المفضل. رغم ذلك فأنا أعرف  
القليل عن عمالك. وأعرف بعض أتباعك:  
ماتيا بريتي الذى كدح بشدة مخلفاً أماً  
ضئلاً (لكنه كان كافياً). ولوكا جوردانو (٢) الذى كان

(١) Caravaggio (١٥٧٣ - ١٦١٠) رسام إيطالى

(٢) Luca Giordano (١٦٣٢ - ١٧٠٥) رسام إيطالى يعتبر أبرز رسامى نابولى فى عصره.



متورطاً مع بعض الألوان الحمراء القائمة التي لم تستعمل  
أبدأ، ودرجات الأخضر الساطعة،  
مع هذا فقد كشف النقاب عن سر نبات قفاز الثعلب.  
ولكن متأخراً. فلقد تلاشى تماماً  
بعد أن زرع في مكان آخر.  
شخص ما أرسل بعض الخبز  
وزجاجة نبيذ ليسرى عنه  
بيد أن السر القديم لقفاز الثعلب،  
ما كان ليكتشف، وسوف لا ينقضى أبداً.

أقول، إذا ما كنت تهيل القش على جانب كومة  
منه، ربما كان ذاك هو الفن الإيطالي. وقد لا يكون كذلك.  
لدينا هذه الأشياء في أيوا،  
أيضاً، حيث تتدلى في المساء عبر المدى غير المشذب  
لجفن العين، كلاً شيء تقريباً،  
ماذا كان ذاك قالت، في الخلف هنالك، عند البداية؟  
«أزهار السيدة المجاورة لنا تشع في التحليق،  
فماذا سيفعل روبيين المسكين حينئذ؟»  
إن هذا حقيقي، فلقد كانت تندفع في الهواء،  
كل ثانيتين مثل صواريخ من منصة إطلاق، وما من  
أحد بكى، أو حتى قد اهتم.  
تطلع خارج النافذة في أي وقت، وسوف ترى مع ذلك  
موضع الاختلاف. إن أغنية الأجمة  
لا يمكنها التخلص من اللغز الخاص بطبيعة خلقنا،  
أو كيف نمضى في طريقنا، نهتم في البداية بشيء، ثم  
بشيء آخر حتى نصل إلى شارع عريض  
وسطه مزدهم بأشجار لحاؤها الذي يتساقط بجنون

له لون فرس أغبر،  
ريما، أو كلب صيد أيرلندى، بإمكان المرء أن ينتظر  
عند الحاجز الحجري بقية  
حياته، لأجل كل ما يهم أى إنسان، أو يمكنه  
أن يعبر عندما تتغير الإشارة خضراء، مثلما فى الثنايا  
الياقوتية  
للصدار الموشى بالحرير التى ربما يكون لوكا جوردانو  
قلقاً بشأنها.

والآن ها هى الحياة، لكن كما قال هنى بنى  
لـ تاركى لاركى، هناك شيء  
يحوم فوقنا، يريد أن يدمرنا، لكن انتظر  
رغم أنه لا أحد يعرف ماذا تنتظر بالضبط.

فى ليل المتحف، مع ذلك، هناك من يتهايمسون كالنجوم  
ويتحدثون بحرية مع بعضهم البعض، بعد أن مضى الحراس  
إلى بيوتهم.

لم راح ذلك الرجل يحدق، ويحدق؟ طوال  
الأصيل، كان يبدو وكأنه يحدق  
فى، رغم أنه لم يكن يرى شيئاً بوضوح.  
فقط هذرات من رؤيا

خب ضائع أمام إحدى البرك.  
لم يكن بإمكانى التحمل أكثر من ذلك، لكن لحسن الحظ أننى  
لم أكن مضطرة لهذا.  
ها هى التجربة تنتهى. واقترب الآن وقت الوقوف  
فى جانب ما، اقترب جداً.



